الفصل الثالث

منهج تفسير قتادة وخصائصه

لقتادة ـ كما لغيره من المفسرين السلفيين القدماء ـ أدواته التى استخدمها فى التفسير واستعان بها ، وهى أدوات تتباين فيما بينها بين الاسلامية والتاريخية والأدبية والوعظية ... وغير ذلك مما سنوضحه فيما يلى :

١ ـ التفسير بالقرآن الكريم :

أجمع العلماء على أن « من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن ، فما أجمل منه فى مكان فقد فسر فى موضع آخر ، وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر ... فان أعياه ذلك طلبه من السنة ، فانها شارحة للقرآن وموضحة له ... فان لم يجد من السنة رجع الى أقوال الصحابة فانهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ... وقد روى الحاكم فى المستدرك أن تفسير الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل له حكم المرفوع »(١) .

ولقد كان قتادة من أولئك المفسرين السلفيين الذين التزموا هذه القاعدة الاسلامية المجمع عليها ، فنجده كثيرا ما يستعين بآيات قرآنية ليوضح بها آيات أخرى ، فعندما يفسر قوله تعالى : « هل تعلم له سميا(٢)» يقول : « لا سمى لله ولا عدل له ، كل خلقه يقر له أنه خالقه ويعرف أنه خالقه ، ويعرف ذلك ، ثم يقرأ هذه الآية : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله(٣) » فقد استعان بآية الزخرف ليفسر بها آية مريم . وعندما يفسر قوله تعالى : « ولذكر الله أكبر(٤) » ، يقول : « لا شىء أكبر من ذكر الله : أكبر

---

(١) الاتقان ٢/١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٢) مريم /٦٥ .

(٣) الزخرف /٨٧ .

(٤) العنكبوت /٤٥ .

الأشياء كلها ، ثم يقرأ : « وأقم الصلاة لذكرى »(٥) ، مفهما أن أهم عبادة، وهى الصلاة ، لهى عبارة عن ذكر الله .

وهو يقرن دائما الآيات القرآنية التى تتحدث عن موضوع واحد ، حتى يوفر لتفسيره الوحدة العضوية المطلوبة ، فهو مثلا حينما يتعرض لتفسير قوله تعالى : « وما كنت بجانب الطور »(٦) ، يقول : « وهذا ـ والله أعلم ـ أشبه بقوله تعالى : « وما كنت بجانب الغربى »(٧) . وعندما يفسر قوله تعالى : « هذا ما وعدنا الله ورسوله »(٨) ، يقول : « وكان الله قد وعدهم فى سورة البقرة فقال : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب »(٩) ، ونلاحظ هنا ، أنه لا يكتفى بذكر الآيتين التى تفسر كل منهما الأخرى فحسب ، بل يربط بينهما برباط قوى من التوضيح والشرح ، فيقول : « هذا والله البلاء والنقص الشديد ، وان أصحاب رسول الله (ص) لما رأوا ما أصابهم من الشدة والبلاء قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله » ، ثم لا يترك هذا التوضيح والشرح بدون تعقيب له يزيد هذا الرباط شدة ومتانة ، فيقول : « وما زادهم الا ايمانا وتسليما وتصديقا بما وعدهم الله وتسليما لقضاء الله » .

ونجده أحيانا يأتى بالمعنيين القرآنيين كما يبدو له أن كلا منهما يكمل الآخر ويتممه ، فعندما يفسر قوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »(١٠) ، يوضح أن حفظ الله للقرآن هو بجعله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » (١١) ، فهو يستعين بآية فصلت ليفسر بها آية الحجر ، مبينا أن حفظ الله للقرآن هو حفظ من الباطل ، وأن الباطل فى رأيه ـ هو ابليس ، « فأنزل الله (القرآن) ثم حفظه ، فلا يستطيع ابليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا ، حفظه الله من ذلك » .

---

(٥) طه /١٤ .
(٦) القصص /٤٦ .
(٧) القصص /٤٤ .
(٨) الأحزاب /٢٢ .
(٩) البقرة /٢١٤ .
(١٠) الحجر /٩ .
(١١) فصلت /٤٢ .

وعندما يفسر قوله تعالى : « الا أن تاتيهم الملائكة »(١٢) ، يقول : « بالموت » ، ثم يستشهد بآية أخرى لتكمل المعنى ، فيقول : « وقال (الله) فى آية أخرى : « ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة »(١٣) ، « وهو ملك الموت وله رسل » . وكذلك يرى قتـــادة أن قوله تعالى : « ونرثه مايقول(١٤) : هو قوله : « لأوتين مالا وولدا »(١٥) وهكذا يأتى بالآية التى تصـــدق بين يدى أختها الآية الأخرى ، والتى تؤكد معناها وتكمله وتقويه .

وأحيانا نجده وهو يأتى بالآيات المتفقة يجمع المعانى القرآنية المتفقة والواردة فى القرآن ككل ، على طريق الحصر والاستقصاء ، وعلى سبيل المثال نجده حين يفسر « الظن » يقول : « الظن ظنان : ظن منج ، وظن مرد » الذين يظنون أنهـــم ملاقوا ربهـــم »(١٦) ، « انى ظننت أنى ملاق حسابيه »(١٧) ، وهذا : الظن المنجى ظنا يقينا ، هيهنا ، « وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم »(١٨) ، هذا ظن مرد » .

وأحيانا نحس فى اتيـــانه بالآيات المتفقة بنوع من تداعى الذاكرة فهو فى استعانته بالآيات القرآنية دائم التذكير بمـــا يستلزمه المعنى من الاشارة الضرورية لآية أخرى ، فمثلا عندما يفسر قوله تعالى : « ما كان لى من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون »(١٩) ، يقول : « هم الملائكة ، كانت خصومتهم فى شأن آدم حين قال ربك للمـــلائكة : « انى خالق بشرا من طين »(٢٠) ، وحين قال : « انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم

---

(١٢) الأنعام /١٥٨ .
(١٣) الأنفال /٥٠ .
(١٤) مريم /٨٠ .
(١٥) مريم /٧٧ .
(١٦) البقرة /٤٦ .
(١٧) الحاقة /٢٠ .
(١٨) فصلت /٢٣ .
(١٩) ص /٦٩ .
(٢٠) ص /٧١ .

ما لا تعلمون »(٢١) ، ففى هذا اختصم الملأ الأعلى » ٠

على أنه وهو فى جملة ذلك كله ، لا يكتفى بمجرد أن يقرن هذه الآية بتلك ، ويفهم أنهما مشتركتان فى معنى واحد أو فى موضوع واحد فحسب، بل هو يميز بين أوجه الاتفاق بينهما ، وأيضا بين أوجه الاختلاف كذلك ان وجدت ، فمثلا عندما يفسر قوله تعالى : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا »(٢٢) ، فيقول : « لاتبعتم الشيطان كلكم » ، فهو يفسر قوله : « الا قليلا » بـ « كلكم » ، ثم يقول : « وأما قوله : « الا قليلا» فهو كقوله : « لعلمه الذين يستنبطونه »(٢٣) ، أى الا قليلا » ، فهو اذن لا يأتى بالآية التى تكون قريبة أو متفقة ويدعها هكذا ، بل هو يثبتها فى تفسيره بوعى وبعقل ، ويوضح ما تتفق فيه مع أختها ، وما تختلف فيه عنها أيضا ٠ وقتادة يتمتع بملاحظة قوية ثاقبة فى هذا الصدد ، فهو عندما يتعرض لقوله تعالى : « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم »(٢٤) ، يقول : « افتتح أول الخلق بالحمد لله فقال: «الحمد لله الذى خلق السموات والأرض »(٢٥) ، وختم بالحمد فقال : « وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين »(٢٦) ٠

وأخيرا ، فاذا كان قتادة فى استعانته بالآيات القرآنية المتفقة ، يتناول منها ما كان متفقا فى المعنى والموضوع ، فهو أيضا يتناول منها ما كان متفقا فى الأسلوب والنظم ، فهو عندما يفسر قوله تعالى : « أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون(٢٧) ، يقول : « استفهام ، كقوله لعيسى : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله »(٢٨) ٠ كما تبدو مقدرته اللغوية فى ادراكه العلاقة بين قوله تعالى : « واعلموا أن الله يحول بين المرء

---

(٢١) البقرة /٣٠ ٠
(٢٢) النساء /٨٣ ٠
(٢٣) النساء ٨٣ ٠
(٢٤) الزمر /٧٥ ٠
(٢٥) الانعام /١ ٠
(٢٦) الزمر /٧٥ ٠
(٢٧) سبا /٤٠
(٢٨) المائدة /١١٦ ٠

وقلبه »(٢٩) ، وقوله عز وجل : « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد(٣٠) ، فيلحظ صلة شدة القرب فى القولين الكريمين عن طريق حس لغوى وبلاغى أصيل ٠

وهكذا يقف أمام قوله تعالى : « الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين »(٣١) ، ويقول : « هو نحو قوله : « الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب »(٣٢) ، وفى قوله تعالى : « والأرض مددناها »(٣٣) ، يقول : « وقال (الله) فى آية أخرى : « والأرض بعد ذلك دحاها »(٣٤) ، فهو بحسه البلاغى الأصيل يلمح أوجه التشابه فى النظم بين الآيتين ويشعر بما بين الأسلوبين من اتفاق وقرب وصلة ٠

٢ - التفسير بالحديث الشريف والحديث القدسى :

ما زال قتادة هنا فى تفسيره على نفس المنوال الاسلامى الذى يفسر بالحديث بعد أن يفسر بالقرآن ، والأحاديث النبوية الشريفة تمثل مساحة كبيرة فى تفسير قتادة ، فهو دائم الاستشهاد بها فى التفسير ، ودائم الاستعانة بها فى التوضيح ، وللحديث فى تفسيره صور كثيرة ، فهو أحيانا يأتى به تاما كاملا ، وأحيانا يأتى به مختصرا ، وأحيانا يأتى بمعناه ولا يلتزم بلفظه ، وأحيانا يأتى بجزء منه هو ما يحتاجه فى التفسير ٠

فهو عندما يفسر قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم »(٣٥) ، يأتى بحديث شريف يوضح به هذه الآية ، فيقول : « بينما رسول الله (ص) فى بعض مغازيه وقد فاوت السير بأصحابه ، اذ نادى رسول الله (ص) بهذه الآية : « يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم » ، فحثوا المطى ، حتى كانوا حول رسول الله (ص) قال : هل تدرون أى يوم ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله (ص) أعلم،

---

(٢٩) الأنفال /٢٤
(٣٠) ق /١٦ ٠
(٣١) الحجر /١٨ ٠
(٣٢) الصافات /١٠ ٠
(٣٣) الحجر /١٩ ٠
(٣٤) النازعات /٣٠ ٠
(٣٥) الحج /١ ٠

قال : ذلك يوم ينادى آدم ، يناديه ربه : ابعث بعث النـــار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار : فأبلس القوم ، فما وضح منهمضاحك ، فقال النبى (ص) : ألا اعملوا وأبشروا ، فان معكم خليقتين ما كانتا فى قوم الا كثرتاه ، فمن هلك من بنى آدم ومن هلك من بنى ابليس ويأجوج ومأجوج ، أبشروا » ما أنتم فى النـــاس الا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى جناح الدابة » ٠

فهو هنا يأتى بالحديث تاما كاملا ، كما نجد هذا الحديث عند أحمد والترمذى والنسائى عن قتادة ، فهو حديث سليم موثق ، واذن فقد كان قتادة يأتى أحيانا بالحديث تاما كاملا ٠ ولكننا نجده أحيانا أخرى يختصر لفظ الحديث ، وعلى سبيل المثال : حينما تعرض لتفسير قوله تعـــالى : « وقال انى مهاجر الى ربى »(٣٦) ، يقول : « ذكر لنا أن نبى الله (ص) كان يقول : « انها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز أهل الأرض الى مهاجر ابراهيم ، ويبقى فى الأرض شرار أهلها ، حتى تلفظهم وتقذرهم ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير » ، فهذا الحديث مختصر ، ونجد الأصل عند أحمد ، قال : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادةعنشهر بنحوشب٠٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « سمعت رسول الله (ص) يقول: « **انها ستكون هجرة بعد هجرة** ، فينحاز الناس الى مهاجر ابراهيم ،لايبقى فى الأرض الا شرار أهلها ، فتلفظهم أرضوهم ، وتقـذرهم نفس الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ، فتبيت معهم اذا باتوا ، وتقيل معهم اذا قالوا ، وتأكل منهم من تخلف » ٠

ولكن على الرغم من أن قتادة كان يأتى فى تفسيره ببعض الأحاديث مختصرة ، فان الثقة فيها موجودة ، ولعلنا لاحظنا أن الحديث السابق كما رواه أحمد ، كان قتادة من رواته ، وعلى هـذا نستطيع أن نقارن الحديث المختصر الوارد فى تفسير قتادة ، بما يماثله من الحديث المروى عن قتادة فى كتب الحديث الموثوق بها ٠

وأحيانا يأتى قتادة بمعنى الحديث ولا يلتزم بلفظه ، ففى تفسيره لقوله تعالى: « وما جعل أدعياءكم أبناءكم »(٣٧) ، يقول : « ذكر لنا أن النبى (ص) كان يقول : « من ادعى الى غير أبيه متعمدا ، حرم الله عليـه

---

(٣٦) العنكبوت /٢٦ ٠

(٣٧) الأحزاب /٤ ٠

الجنة » فما جاء به قتادة هو معنى الحديث لا لفظه ، ونستطيع أن نعرف ذلك من القرطبى(٣٨) الذى روى عن سعد بن أبى وقاص وأبى بكر كلاهما قال : سمعته أذناى ووعاه قلبى محمدا صلى الله عليه وسلم يقول : « من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » ، وفى حديث أبى ذر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه الا كفر » . ولكننا نلاحظ أن قتادة وان كان يأتى ببعض الأحاديث بواسطة المعنى ، فهو يلتزم بجوهر الحديث ومعناه الحقيقى ، كما يتبين بوضوح فى هذا الحديث ، كما أنه يسبق هذا النوع من الأحاديث بقوله « ذكر لنا أن النبى (ص) كان يقول » ، وهى صيغة تفهمنا أنه سيأتى بمنى الحديث لا بلفظه ، فعنصر الأمانة متوافر فى ابلاغه وأدائه ، كما يتوافر أيضا عنصر الثقة كما رأينا من قبل .

وأحيانا يأتى قتادة بجزء من حديث طويل ، فهو لا يعنيه طول الحديث ، وانما يأتى منه بالجزء الذى يحتاجه فقط فى التفسير ، ومثال على ذلك ، عندما تعرض لتفسيرقوله تعالى : « ويدعون الى السجود فلا يستطيون »(٣٩) ، يقول : ذلك والله يوم القيامة ، ذكر لنا أن نبى الله (ص) كان يقول : « يؤذن للمؤمنين يوم القيامة فى السجود فيسجد المؤمنون ، بين كل مؤمن منافق ، فيقسو ظهر المنافق عن السجود ، ويجعل الله سجود المؤمنين عليهم توبيخا وذلا وصغارا وندامة وحسرة » فهذا جزء من حديث طويل مشهور .

وكما نجد عند قتادة أحاديث كثيرة موثقة ، **كذلك نجد عنده أحاديث ليست بالقليلة ، نص العلماء على أنها غريبة أو ما الى ذلك ،** ومن ذلك ، ما ساقه فى تفسير قوله تعالى : « يسبحون الليل والنهار لا يفترون »(٤٠) ، يقول : « ذكر لنا أن نبى الله (ص) بينما هو جالس مع أصحابه اذ قال : « تسمعون ما أسمع » قالوا : ما نسمع من شىء يا نبى الله ، قال : انى لأسمع أطيط السماء ، وما تلام أن تئط وليس فيها موضع راحة الا وفيها ملك ساجد » ، فهذا الحديث حديث غريب ولم يخرجوه » كما نص على ذلك ابن كثير(٤١) . ويحتمل أن يكون ذلك من كلام كعب

---

(٣٨) انظر تفسير القرطبى ١٢١/١٤ .

(٣٩) القلم /٤٢ .

(٤٠) الأنبياء / ٢٠

(٤١) تفسير ابن كثير ٣٢٩/٥ .

الأحبار ، فقد ورد عنه ما يشبه ذلك ، فقد قال : « ما من موضع خرمة ابرة من الأرض الا وملك موكل بها ... وان ملائكة السماء لأكثر من عدد التراب »(٤٢) .

فاذا كانت هناك بضعة من الأحاديث التى ساقها قتادة ، هى أحاديث غريبة أو ضعيفة ، فهى أحاديث تتناول أمورا غيبية أو تتعلق ببعض المواقف الفردية ، كما نجد قتادة وهو يذكرها ، انما يذكرها بيقظة وتحفظ ، فهو دائما يسبقها بقوله : « **وذكر لنا** » أو **كنا نحدث أنه** أو « **وقيل لنا** » ... وهى عبارات حذرة واعية ، حتى يخفف من مسئوليته فى روايةهذا الحديث. ألا أننا نعود فنكرر أن قتادة كان كما وصفه علماء عصره « حجة مأمونا فى الحديث » وأنه ثقة ولا ننسى أنه من رواة الصحيحين وأن أرباب الصحاح قد احتجوا به .

وكما كان قتادة يستعين بالأحاديث النبوية الشريفة ، فكذلك يستعين **بالأحاديث القدسية** وهى التى رواها رسول الله (ص) عن الله سبحانه وتعالى ، ومن ذلك ، هذا الحديث القدسى الذى أتى به وهو يفسر قوله تعالى: « ان الذين يؤذون الله »(٤٣) ، قال : « ذكر لنا أن نبى الله (ص) كان يقول فيما يروى عن ربه عز وجل : « شتمنى ابن آدم ، ولم ينبغ له أن يشتمنى، وكذبنى ولم ينبغ له أن يكذبنى ، فأما شتمه اياى فقوله : « اتخذ الله ولدا » ، وأنا الأحد الصمد ، وأما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى » ، فهذا الحديث القدسى صحيح ، وقد خرجه البخارى من طرق ، منها طريق أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تبارك وتعالى : كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته ، وأما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » ، ومنها طريق ابن عباس عن النبى صلى الله عليهوسلم: « قال الله تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه اياى فزعم انى لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه اياى فقوله لى ولد فسبحانى أن أتخذ صاحبة أو ولدا » .

ومن الأحاديث القدسية أيضا التى أتى بها قتادة فى تفسيره ، ذلك

---

(٤٢) المصدر السابق نفسه ٤/١٦٤ .

(٤٣) الأحزاب /٥٧ .

الحديث فى معرض قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهـــم من قرة أعين »(٤٤) قال قتادة : « قال رسول الله (ص) يروى ذلك عن ربه : « قال ربكم : « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر » ، وهو حديث قدسى صحيح أيضا رواه الامام أحمد منحديث طويل عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ص) « ان الله تعالى قال : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ٠

وهكذا ، كان الحديث الشريف والحديث القدسى من سمات منهج قتادة فى التفسير ، وهو المنهج الاسلامى الأصيل ٠

٣ ـ التفسير بأقوال الصحابة وكبار التابعين :

وهذه هى القاعدة الثالثة التى أجمع عليها علماء الاسلامفىالتفسير، ولقد تحدثنا فيما سبق عن الكثرة الكثيرة من الرواة الذين روى عنهـم قتـــادة ، وهو فى تفسيره يسوق لنا حشدا كبيرا من هذه الأقوال ، فهو يروى فى تفسيره هذا عن أنس بن مالك ، وعن أبى موسى الأشعرى ، وعمرو البكالى ، والعلاء بن زياد ، وعمر بن الخطاب ، وصفوان بن محرز ، وابن عمر ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وسلمـــان ، وأبى بن كعب ، ومطرف ، وكعب الأحبـــار ، والشعبى ، وسعيد بن المسيب ، وأبى بكر الصديق ، ومحدق العجلى ، وأبى مازن ، وأبى الدرداء ، والحسنالبصرى، وعلى بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، والسيدة عائشة رضى الله عنها ، وأبى سعيد الخدرى ، وحاطب بن أبى بلتعة ، وعمران بن حصين ، ومعاذ ابن جبل ٠٠٠ وغيرهم ٠

ورغم أن كثيرا من مرويات قتادة عن هؤلاء ، من المراسيل والمنقطعات والمعضلات ، فان قتادة كان ثقـــة كما رأينا ، وقد أوضحنا هـذه المسألة فيما سبق ٠

وتأتى هذه المرويات المأثورة فى تفسير قتادة أحيانا تفسيرا للآية ، وأحيانا للاستشهاد والتقوية ، وأحيانا كمادة للطرافة ودفعا للملل أن يتسرب الى نفس من يقرأ تفسيره ٠

---

(٤٤) السجدة / ١٧ ٠

فمثلا ، عندما يفسر قوله تعالى : « قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم »(٤٥) ، يروى عن كعب انه قال : « ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه » فهو يأتى بهذه الرواية ليبين بها كيف كانت النار بردا وسلاما على ابراهيم ، فهى لم تؤذه ، وانما آذت وثاقه ، أحرقت الوثاق الذى اوثقه به أعداؤه ٠

وعندما يتعرض لذى الكفل يقول (٤٦) : « قال أبو موسى الأشعرى وهو يخطب الناس : « ان ذا الكفل لم يكن نبيا ، ولكن كان عبدا صالحا، تكفل بعمل رجل صالح عند موته ، كان يصلى لله كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثنـــاء فى كفالته اياه » ، فهو هنـــا يسوق رواية أبى موسى الأشعرى ليفسر بها المعنى اللغوى لكلمة ذى الكفل ، وليفسر بها المراد من هذه الكلمة ، كما يلقى بها الضوء على ذى الكفـــل ومن هو وطرفا من عمله ٠

وعندما يفسر قوله تعالى : « أصحاب الجنـــة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا(٤٧) » ، يأتى برواية لصفوان بن محرز ، وهى تحكى قصـــة طريفة من تلك القصص التى تساق للوعظ والارشاد ، كما أنه يستعين بها فى نفس الوقت لتوضيح معنى كلمة « المقيل » وكيف يكون ، يقول : « حديث صفوان بن محرز قال : انه ليجاء يوم القيامة برجلين ، كان أحدهما ملكا فى الدنيا فيحاسب ، فاذا عبد لم يعمل خيرا فيؤمر به الى النار ٠ والاخر كان صاحب كساح فى الدنيا ، فيقول : يارب ما أعطيتنى من شىء فتحاسبنى به ، فيقول صـــدق عبدى فأرسلوه ، فيؤمر به الى الجنـــة ٠ ثم يتركان ما شاء الله ، ثم يدعى صاحب النار ، فاذا هو مثل الحممة السوداء ، فيقال له كيف وجدت مقيلك ؟ فيقول : شر مقيل ، فيقال له عد ، ثم يدعى صاحب الجنة ، فاذا هو مثل القمر ليلة البدر ، فيقال لهكيف وجدت مقيلك ؟ فيقول : رب ، خير مقيل ، فيقال : عد » ٠

وقد تكون القصة التى يسوقها قتادة عن الصحابة وعن كبار التابعين، قصة واقعية حدثت حقيقة ، ومن ذلك ، ما رواه وهو يفسر قوله تعـــالى :

---

(٤٥) الأنبياء /٦٩ ٠

(٤٦) أنظر تفسيره لقوله تعالى « وذا الكفل ... ية ٨٥ من سو الأنبياء ٠

(٤٧) الفرقان /٢٤ ٠

« الليل والنهار خلفة »(٤٨) : فهو يذكر قصة طريفة وقعت لسلمان فيقول : « ان سلمان جاءه رجل ، فقال لا أستطيع قيام الليل ، قال ان كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجز بالنهار » ، فعلاوة على انها قصة تطرف القارىء ، فهى أيضا توضح معنى كيف يكون الليل والنهار خلفة ، فاذا فاتتك عبادة فى الليل فتداركها فى النهار ، وان فاتتك بالنهار فتداركها بالليل ، فالليل والنهار خلفة ٠

وهو يفسر قوله « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات »(٤٩) ، بقول لابن عباس ، فيقول : « كان ابن عباس رضى الله عنه يقول : « الآيات التسع: يد موسى ، وعصاه ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والسنين فى بواديهم ومواشيهم ، ونقص من الثمرات فى أمصارهم ٠ فقد اتى بكلمة ابن عباس ليفسر بها معنى التسع آيات ٠

وكثيرا ما نجده يذكر ملابسات الآية عند الصحابة ، فعندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له »(٥٠) ، يقول : « قيل لعائشة : هل كان رسول الله (ص) يتمثل بشىء من الشعر ؟ قالت : كان ابغض الحديث اليه ، غير أنه كان يتمثل ببيت آخى بنى قيس ، فيجعل آخره أوله وأوله آخره ، فقال له أبو بكر : انه ليس هكذا ، فقال نبى الله (ص) : انى والله ما أنا بشاعر ولا ينبغى لى » ٠

وعندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : « ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » ، يقول : « كان مطرف اذا مر بهذه الآية يقول : هذه آية القراءة » ٠

وهكذا ، كان قتادة يذكر قول الصحابى أو التابعى الكبير ، بروح الرواية وجمالها وروائها ، حتى يضفى على تفسيره الحياة والعذوبة ٠

٤ ـ التفسير اللغوى والبلاغى :

تلفت نظرنا فى تفسير قتادة هذه السهولة فى الشرح ، وتلك العذوبة فى التبسيط ، والبعد عن التعقيد والغموض ، فهو يجنح دائما الى المعنى البسيط

---

(٤٨) الفرقان/٦٢ ٠
(٤٩) الاسراء /١٠١ ٠
(٥٠) نفس/ ٦٩ ٠

المباشر للفظة القرآن المراد تفسيرها ، ويأتى به فى صورة مرادف بسيط ودقيق أو شرح لطيف موجز ، فيفسر مثلا«المخبتين »(٥١)بأنهم:«المتواضعين»، و « الوابل »(٥٢) : « المطر الشديد » ، « صرصر »(٥٣) : « باردة » ، « ضيزى » (٥٤) : « جائرة » ، « مهطعين »(٥٥) : «عامدين» ، «كالعهن»(٥٦) : « كالصوف » ، « الوتين »(٥٧) : « حبل القلب » ، « الزبر »(٥٨) : « الكتب»، « حنيذ »(٥٩) : « نضيج » ، « أركسهم » (٦٠) : « أهلكهم » ، « عتيا » (٦١)، « هرما » ، « سنة »(٦٢) : « نعسة » ، « النافلة »(٦٣) : « ابن ابنه » ، « جذاذا »(٦٤) : « قطعا » ، « فجاجا »(٦٥) : « أعلاما » ، أو «طرقا مختلفة»، «فأجاءها»(٦٦): : « اضطرها » ، « فراغ »(٦٧) : « فمال » ، « ريع »(٦٨) : « طريق » ، « باخع »(٦٩) : « قاتل » ، « لجى »(٧٠) : « عميق » ...

واذا كانت مرادفاته التى يأتى بها من السهولة واليسر قد بلغت حدا كبيرا ، فكذلك كانت **عباراته الصغيرة** التى يفسر بها اللفظة الصعبة تبلغ أيضا **من السهولة واليسر حدا كبيرا** ، ومن ذلك مثلا تفسيره لقوله تعالى : « ويأتينا فردا »(٧١) : « لا مال له ولا ولد » « صفوان »(٧٢) : « الحجر الذى يسمى صفاة » ، « أنى يحيى هذه الله بعد موتها »(٧٣) : « أنى تعمر هذه بعد خرابها » ، « دسر »(٧٤) : « دسرت بمسامير» ، «ثانى عطفه»(٧٥): « لاو عنقه » ، « مريد »(٧٦) : « تمرد على معاصى الله » ، « لا تشطط »(٧٧):

---

(٥١) الحج/٣٤ .
(٥٢) البقرة/٢٦٤ .
(٥٣) الحاقة/٦ ، فصلت/١٦ .
(٥٤) النجم/٢٢ .
(٥٥) القمر/٨ ، المعارج/٣٦ .
(٥٦) المعارج/٩ .
(٥٧) الحاقة/٤٦ .
(٥٨) الشعراء/١٩٦ ، المؤمنون/٥٣ .
(٥٩) هود/٦٩ .
(٦٠) النساء/٨٨ .
(٦١) مريم/٨ .
(٦٢) البقرة/٢٥٥ .
(٦٣) الأنبياء/٧٢ .
(٦٤) الأنبياء/٥٨ .
(٦٥) الأنبياء/٣١ ، نوح/٢٠
(٦٦) مريم/٢٣ .
(٦٧) الصافات/٩٣ .
(٦٨) الشعراء/١٢٨ .
(٦٩) الكهف/٦ .
(٧٠) النور/٤٠ .
(٧١) مريم/٨٠ .
(٧٢) البقرة/٢٦٤ .
(٧٣) البقرة/٢٥٩ .
(٧٤) القمر/١٣ .
(٧٥) الحج/٩ .
(٧٦) الحج/٣
(٧٧) ص/٢٢ .

« لا تمل » ، « لازب »(٧٨) : « الذى يلزق باليد » ، « قطمير »(٧٩) : «القشرة التى على رأس النواة » ٠

فهو يسهم الى المعنى الجوهرى ويركز عليه ، فقوله تعالى : « حسبته لجة »(٨٠) ، هو أنه : « كان من قوارير وكان الماء من خلفه فحسبته لجة»، « فاختلفت الأحزاب من بينهم »(٨١) : « اختلفوا فيه فصاروا أحزابا » ، « أثاثا ورئيا »(٨٢) : « يعنى بالأثاث : المتاع والمكانة ، ويعنى بالرئى : « الخلقة والمنظر » ، « ويكونون عليهم ضدا »(٨٣) : « يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض » ، « من مشهد يوم عظيم »(٨٤) : « شهدوا قولا اذا عظيما » ٠٠٠

وهو يستوحى كل المعانى التى تزخر بها الكلمة ، ويحاول ان يغوص عليها وأن ينفذ الى باطنها ويقرأ ما وراءها وما توحيه له من معانوافكار، ففى قوله تعالى : « اسمه يحيى »(٨٥) ، يقول : « عبد أحياه الله بالايمان» فيستلهم معنى الحياة من الاسم العلم ، ويحس بنوع هذه الحياة من جلال شخص المسمى ، وفى قوله تعالى : « باسرة »(٨٦) ، يقول : « كالحة » ، متخيلا المنظر وما تكون عليه الوجوه الكافرة يوم الفصل العظيم من هوان ممتزج بالرعب ٠٠٠ وفى قوله تعالى « طل »(٨٧) ، يقول : « طش » ، دقة واحساس مرهف بالمعنى ومقدرة بارعة فى الاتيان بأجمل المعانى ٠٠٠

وهو ينأى دائما عن الخوض فى مناقشات لغوية أو مسائل نحوية فى تفسيره اللفظى ، فيقول : « رجيم »(٨٨) : « لعين » ، دونما افاضات مملة والزحف داخل سراديب اللغة ، ويقول فى قوله تعالى : « ولا تنابزوا بالألقاب »(٨٩) : « لا تقل لأخيك المسلم ذاك فاسق ، ذاك منافق ، نهى الله المسلم عن ذلك وقدم فيه » ٠٠٠ فهو يتعمد البعد عن مشاكل اللغة ومسائل النحو ٠٠٠ ويشرح الرجم والتنابز شرحا مبسطا سهلا ولا يتعرض لأى موضوعات لغوية أو نحوية ٠٠٠

---

(٧٨) الصافات/١١ ٠
(٧٩) فاطر/١٣ ٠
(٨٠) النمل/٤٤ ٠
(٨١) مريم/٣٧ ٠
(٨٢) مريم/٧٤ ٠
(٨٣) مريم/٨٢ ٠
(٨٤) مريم/٣٧ ٠
(٨٥) مريم/٧ ٠
(٨٦) القيامة/٢٤ ٠
(٨٧) البقرة/٢٦٥ ٠
(٨٨) ص/٧٧ ٠
(٨٩) الحجرات/١١ ٠

فالدقة والبراعة أمران يلازمان دائما اختياره للمعانى ، ولا يدخل فى مشاكل الاشتقاق ولا الاصطلاح ،فالآية(٩٠):عبرةوتفكر،و«الطاغوت»(٩١): الكاهن ، و « الجبت »(٩٢) : الشيطان ... دون الدخول فى مناقشات سقيمة ولا تعقيدات جافة .

وليس ذلك عن ضعف ، فقتادة كان اماما فى اللغة وفى الغريب واذا حللنا بعض تفسيراته اللفظية وجـــدناها تنبىء عن مقدرته اللغوية الكبيرة ، وعلى سبيل المثـــال ، فقد فسر قوله تعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة »(٩٣) ، فقال : « أى والله ، من الضلالة الى الهدى ومن العيلة الى الغنى » ، وهـــذا أشبه بفصاحة العرب ، فان بسعة الأرض وكثرة المعاقل تكون السعة فى الرزق واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرج ، ويقول الشاعر :

وكنت اذا خليـــــل رام قطعى
وجـدت ورائى منفسحا عريضا

ويقول آخر :

لكـان لى مضطرب واســـع
فى الأرض ذات الطول والعرض(٩٤)

وفى تفسيره لقوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم»(٩٥) يقول : « مع أموالكم » ، فقد فسر « الى » هنا بمعنى « مع » ، وهى قاعدة لغوية وبلاغية أصيلة ، وكأنه يتمثل أمامه فى الأدب هذا البيت من الشعر لسلمة بن الحرشب وهو يصف الخيل الضمر :

يســـــدون أبواب القبـــاب بضمر
الى عنن مستوثقـــات الأواصر(٩٦)

وفى تفسيره لقوله تعالى : « فلما جن عليه الليل » ، الى قوله : « انى برىء مما تشركون »(٩٧) ، يقول : « علم أن ربه دائم لا يزول » ،

---

(٩٠) آل عمران/١٣ قوله تعالى : « قد كان لكم آية » .
(٩١) ، (٩٢) النساء/٥١ .
(٩٣) النساء/١٠٠ .
(٩٤) القرطبى ٥/٣٤٨ .
(٩٥) النساء/٢ .
(٩٦) اللسان : أصر .
(٩٧) الأنعام/٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

فقد فسر الأفول بالزوال ، وهو تفسير صحيح له أصول فى اللغة والأدب، قال ذو الرمة :

مصـــــابيح ليست بالتواتى تقودها
نجـــوم ولا بالآفـــلات الدوالك(٩٨)

وفى تفسيره لقوله تعالى : « ان الله كان على كل شىء حسيبا »(٩٩) يقول « محاسبا » ، كما يقال « أكيل » بمعنى « مواكل » ، وفسر قوله تعالى: « فبما نقضهم »(١٠٠) فقال : « فبنقضهم » على اعتبار خفض بالبـــاء ، وما زائدة للتوكيد ، وذلك أنها تؤكد الكلام وتمكنه فى النفس من جهـــة حسن النظم ومن جهة تكثيرة للتوكيد : كما قالوا لشىء ما يســـــود من يسود(١٠١) ، وكما فى قوله تعالى : « فبما رحمـــة من الله »(١٠٢) وتكون الباء فى ذلك متعلقة بمحذوف ، والتقدير : فبنقضهم ميثاقهم لعنّـــاهم ، وحذف هذا لعلم السامع ٠

والأمر عنده لا يقتصر على براعة لغوية فحسب ، بل نلمح لديه أيضا كثيرا من اللمحات البلاغية الموفقة ، فهو يحس بالآية والفاظها وكأن بين الكلمة وقتادة صلة حب قوية تجعله يفطن الى نواحيها النفسية والشعورية، ويلحظ مكامن الأداء فيها ومعانيه ٠٠٠

ففى تفسيره لقوله تعالى : « لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكـــم لعلكم تسئلون »(١٠٣) ، يقول : لعلكم تسئلون من دنيـــاكم شيئا ، استهزاء بهم » ، فقد أحس معنى السخرية والاســـتهزاء ، فى تفسيره لقوله تعالى : « لا يسبقونه بالقول»(١٠٤) ، يحس بمعنى المـــدح والتقريظ ، فيقول : « يثنى عليهم » ، وفى تفسيره لقوله تعـــالى : « قل لأزواجك ان كنتن تردن »(١٠٥) ، يقول : « خيرهن بين الدنيـــا والآخرة ، فى شىء كن أردنه من الدنيا ٠٠٠ فلما اخترن الله ورسوله شكرهن عـــلى ذلك فقال : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو

---

(٩٨) اللسان مادة دلك ، وانظر مجاز القرآن ١/١٩٩ ٠

(٩٩) النساء/٨٦ ٠
(١٠٠) النساء/١٥٥ ، المائدة/١٣ ٠
(١٠١) القرطبى ١٦/٣١٤ ٠
(١٠٢) آل عمران/١٥٩ ٠
(١٠٣) الأنبياء/١٣ ٠
(١٠٤) الأنبياء/٢٧ ٠
(١٠٥) الأحزاب/٢٨ ٠

أعجبك حسنهن »(١٠٦) ، « فقصره الله عليهن » ، فقد أحس أن هذه الآية هى شكر من الله الى نساء الرسول المؤمنات • وفى تفسير لقوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »(١٠٧) يقول : « ثامنهـــم والله ، فأعلى لهم الثمن » ••• فهو يحس بما فى الآيات من معانى المدح أو السخرية أو الشكر أو المساومة •••

وكذلك نلحظ عنده فى هذا الصدد خاصية أخرى ، وهى **انه كان يقيم فى تفسيره صلة حية بينه وبين قارىء تفسيره أو المستمع اليه** ، فهو يخاطبه ويوجه له الكلام ، ويشركه فى الحديث ، ويسأله ، ويجيبه ، فعندما يفسر قوله تعالى : ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون »(١٠٨) ، يقول : « هم يكذبون **كما ترون** » ، وعندما يفسر قوله تعالى : « وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك »(١٠٩) ، يقول : « يعزى نبيه **كما تسمعون** » ، وعندما يفسر قوله تعالى : « يس • والقرآن الحكيم • انك لمن المرسلين »(١١٠) ، يقول قسم كما تسمعون » ، وعندما يفسر قوله تعالى « اعملوا ما شئتم »(١١١) يقول : « خيركم وأمركم بالعمل » ، وعندما يفسر قوله تعالى : « ولا تتفرقوا فيه »(١١٢) ، يقول : « تعلموا أن الفرقة هلكة وأن الجماعة ثقة » ، وفى تفسير قوله تعالى : « ولمن انتصر بعد ظلمه »(١١٣) ، يقول : « هذا يكون بين الناس من القصاص ، فأما لو ظلمك رجل لم يحل لك أن تظلمه » ، وفى تفسير قوله تعالى : « ولا تجسسوا »(١١٤) ، يقول وكأنه سائلا من حوله : « هل تدرون ما التجسس أو التجسيس ؟ هو أن تتبع أو تبتغى عيب أخيك لتطلع على سره ••• وهكذا نجد فى تفسيره نوعا **من المشاركة الوجدانية النابضـــة** التى تشد الأسماع وتجذب القلوب وتدخل الألفة فى النفوس••• خاصة وعبارته بليغة وأسلوبه عـذب وطريقتـــه فى التعبير محببـــة ، وتأمل قوله فى تفسير الآية الكريمـــة : « وما هو ببالغـــه » (١١٥) ، يقول : « وليس ببالغه **حتى يتمزع عنقه ويهلك عطشا** » ••• فروعة البيان عنده وملكه ناصيته تضفى على تفسيره الرواء والجمال •••

وفى كثير من الآيات القرآنية نرى ضمائر وأسماء اشارة وأسماء

---

(١٠٦) الأحزاب/٥٢ •
(١٠٧) التوبة/١١١ •
(١٠٨) السجدة/٢٠ •
(١٠٩) فاطر/٤ •
(١١٠) يس/١ : ٣ •
(١١١) فصلت/٤٠ •
(١١٢) الشورى/١٣ •
(١١٣) الشورى/٤١ •
(١١٤) الحجرات/١٢ •
(١١٥) الرعد/١٤ •

موصولة ، وما شابه ذلك من الحروف والأدوات التى تعود فى معناها على معان سابقة وردت خلال النص القرآنى ، ولا بد للقارىء والمفسر أن يكون على بينة منها وعلى معرفة تامة بما تعود عليه والا وقع اللبس والخطأ ٠

وقتادة فى تفسيره يهتم اهتماما كبيرا بهذا النوع من التفسير ، فهو دائم التوضيح للضمير ولهذه الأدوات ولما يعود عليه ، وتبين العلاقة بينهما ، حتى يزيح الغموض عن المعنى وحتى يمنح شبهة اللبس ، ومن هنا نرى لهذه الزاوية فى تفسيره قيمة كبرى ، اذ وفر لتفسيره سهولة ادراك المعانى القرآنية بيسر دونما تعقيد أو غموض أو لبس ٠

ففى تفسير قوله تعالى:«فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم»(١١٦)، يقول : « لهن وليست لهم » ، فهو يوضح هناك لمن يكون الله غفورا رحيما، للمكرهات اللائى أكرهن ، وليس لمن أكرههن ٠٠٠

وفى تفسير قوله تعالى : « ليؤمنن به من قبل موته »(١١٧) ، يقول : « قبل موت عيسى اذا نزل آمنت به الأديان كلها ، أى أنه يجعل الهائين جميعا تعودان لعيسى ٠

وفى تفسير قوله تعالى : « أعلم أن الله على كل شىء قدير »(١١٨) ، يقول : « قول لنبى الله » ، فهو يوضح لمن هذا القول ٠

وفى تفسير قوله تعالى : « من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه »(١١٩)، « من يصرف عنه العذاب » ، وقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها »(١٢٠) : أى « التوراة » ، فمن تصدق به فهو كفارة له »(١٢١) » : « لولى القتيل الذى عفا » ، « ثم يبعثكم فيه »(١٢٢) : « فى النهار » ، « وارجعوا الى ما أترفتم فيه »(١٢٣) : « ارجعوا الى دنياكم التى أترفتم فيها»، «وتبغونها عوجا»(١٢٤): « تبغون السبيل عن الحق عوجا » ، « وجاءك فى هذه الحق »(١٢٥) :

---

(١١٦) النور/٣٣ ٠
(١١٧) النساء/١٥٩ ٠
(١١٨) البقرة/٢٥٩ ٠
(١١٩) الأنعام/١٦ ٠
(١٢٠) المائدة/٤٥ ٠
(١٢١) المائدة/٤٥ ٠
(١٢٢) الأنعام/١٠ ٠
(١٢٣) الأنبياء/١٣
(١٢٤) الأعراف/٨٦ ٠
(١٢٥) هود/١٢٠ ٠

« فى هذه السورة » ، « بعد عامهم هذا »(١٢٦) ، « وهو العام الذى حج فيه أبو بكر » ... وهكذا كثير .

وهو هنا ينتبه للمقدم والمؤخر ويشرحه ويوضحه ، ففى قوله تعالى: « وأسروا النجوى الذين ظلموا »(١٢٧)،يقول : أسروا الذين ظلموا النجوى»، وفى قوله تعالى : « انى متوفيك ورافعك الى »(١٢٨) ، يقول : « أى رافعك الى ومتوفيك » ، وفى قوله تعالى « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يقول: « أى رافعك الى ومتوفيك » ، وفى قوله تعالى : « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون »(١٢٩) ، يقول : « هذا من المقدم والمؤخر ، تقديره فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الأخرة ... وهكذا .

وكما ينتبه للمقدم والمؤخر ، ينتبه **لأسلوب الطباق فى القرآن** ، ففى قوله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا »(١٣٠) ، يقول : مغفرة لفحشائكم وفضلا لفقركم » ...

فان فهمه الدقيق للمعانى القرآنية جعله يدرك كل هذه الخصائص فى أسلوب القرآن ويبرزها فى تفسيره بوضوح وجلاء ...

واذن كان قتادة يفطن لما تعود عليه الضمائر وأسماء الاشارة والموصولة ، والمقدم والمؤخر ، ولأسلوب الطباق ، ويجعل من تفسيره بناء كاملا لا تفتقد فيه **الوحدة العضوية** ، فهو يربط المعانى القرآنية بعضها بالبعض ، فمثلا فى قوله تعالى : « وفعلت فعلتك التى فعلت »(١٣١) ، يقول: « قتلت النفس » ، وفى قوله تعالى : « ولهم على ذنب »(١٣٢) ، يقول : « قتل النفس » ، وفى قوله تعالى : « فنجيناك من الغم » (١٣٣) ، يقول : « النفس التى قتل » ... وهكذا يلتفت دائما الى معانى القرآن المترابطة وينبه عليها .

---

(١٢٦) التوبة/٢٨ .
(١٢٧) الأنبياء/٣ .
(١٢٨) آل عمران/٥٥ .
(١٢٩) التوبة/٥٥ .
(١٣٠) البقرة/٢٦٨ .
(١٣١) الشعراء/١٩ .
(١٣٢) الشعراء/١٤
(١٣٣) طه/٤٠ .

وهناك خاصية هامة أيضا فى تفسير قتادة اللفظى ، وهى أنه كان يدرك المعنى الثانى للكلمة ، ولا يتقيد بمعناها الوضعى ، ولكن يرتبط فى ذلك بمعانى القرآن العامة والسياق النفسى والمعنوى للآيات ، فحين يفسر قوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر »(١٣٤) ، لا يشرح معنى الذكر ، وانما يقول من هم أولئك أهل الذكر ، فيقول : « أهل التوراة والانجيل » ، مستندا فى ذلك أن السؤال هنا يدور حول موضوعات تمس أهل الكتاب وأصحاب التوراة والانجيل ... وكذلك حين يفسر قوله تعالى: « وعلى كل ضامر»(١٣٥)، يقول : « ما تبلغه المطى حتى تضمر » فالحاج لا يرتحل للحج على الضامر، وانما الضامر يكون بعد الرحلة الشاقة المضنية فتضمر المطى من النصب والعناء ... وحين يفسر قوله تعالى : « وأهش بها على غنمى »(١٣٦) ، يقول : « أهش بها على غنمى ورق الشجر » ، بمعنى أنه من رحمة نبى الله موسى وشفقته حتى بغنمه ، لا يضربها بعصاه ، بل لا يهش عليها بها ، وانما يضرب ورق الشجر لها لتاكله وترعاه ... وهكذا نجد مجموعة كبيرة من تفسيراته التى تعتمد على ادراك المعنى الثانى ومباشرته من أقرب طريق ، فالغاوون فى قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغـــاوون »(١٣٧) ، هم : « الشياطين » ، « والسلطان »المبين»(١٣٨) الذى كان لا بد للهدهد أن يأتى به سليمان هو عفر مبين ، ومعنى يهيمون فى قوله تعـــالى : « فى كل واد يهيمون »(١٣٩) ، أنهم « يمدحون قوما بباطل ويشتمون قوما بباطل » ، وأن قول لوط « انهم أناس يتطهرون »(١٤٠) : « عابوهم بغير عيب » ، والقول فى الآية الكريمة : « واذا وقع القول »(١٤١) ، هو : « الغضب » ، وأن الوحى الذى ألقاه الله فى قلب أم موسى(١٤٢) ، هو « قذف فى قلبها وليس بوحى نبوة » ، والمرض فى قوله تعالى : « فيطمع الذى فى قلبه مرض »(١٤٣) ، هو : الزنا ـ « شهوة»، ويقول فى قوله تعالى:«ثم نكسوا على رؤوسهم»(١٤٤)، أدركت الناس حيرة ، فهم يعرفون أن الاصنام لا تتكلم ، فان اعترفوا بذلك فكيف يعبدون من لا ينطقون ، وان لم يعترفوا فكيف يحاكمون ابراهيم ؟

---

(١٣٤) النحل/٤٣ .
(١٣٥) الحج/٢٧ .
(١٣٦) طه/١٨ .
(١٣٧) الشعراء/٢٢٤ .
(١٣٨) قوله تعالى : « أو ليأتينى بسلطان مبين » ـ النمل/٢١ .
(١٣٩) الشعراء/٢٢٥ .
(١٤٠) النمل/٥٦ .
(١٤١) النمل/٨٢ .
(١٤٣) قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى » ـ القصص/٧ .
(١٤٣) الأحزاب/٣٢ .
(١٤٤) الأنبياء/٦٥ .

فتفسير قتادة هنا وادراكه للمعانى القائمة وراء الألفاظ فيه الكثير من البراعة والتوفيق ...

وانظر الى هذه البراعة اللغوية التفسيرية التى نجدها عند قتادة فى قوله تعالى : « لا يسئل عما يفعل »(١٤٥) ، قال : « بعبـــاده » ، « وهم يسئلون »(١٤٦) : « عن أعمالهم » ، « فهم معرضون »(١٤٧) : « عن كتاب الله » ، « ولا يشفعون »(١٤٨):« يوم القيامة» ، «ولا هم منا يصحبون»(١٤٩): « من الله بخير » ، « وطهر بيتى »(١٥٠) : « من الشرك وعبادة الأوثان » ، « لهم مغفرة »(١٥١) ، « لذنوبهم » ، « والطير صافات »(١٥٢) : «بأجنحتها»، « بقلب سليم »(١٥٣) : « من الشرك » ، « من المرجومين »(١٥٤) :«بالحجارة»، « ربطنا على قلبها »(١٥٥) : « بالايمان » ، « لما صبروا »(١٥٦) : « على ترك الدنيا » ، « قويا »(١٥٧) : « فى أمره » ، « عزيزا »(١٥٨) : « فى نقمته»، « غفور »(١٥٩) : « لذنوبهم » ، « شكور »(١٦٠) : « لحسناتهم»،«جثيا»(١٦١): « على ركبهم » ، « وفدا »(١٦٢) : « الى الجنة » ...

وخاصية أخرى كذلك ... نستطيع أن ندركها فى الطريقة التى فسر بها قتادة ألفاظ القرآن ومعانيه ، هى ميله القوى للتفصيل والتوضيح ، والاطناب فى ذلك التفصيل والتوضيح ، فهو لا يكتفى بايراد أقرب مرادف عن طريق ما يسمى فى البلاغة **بمراعاة النظير** ، فيجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد ، فهو مثلا عندما يفسر كلمة « الفرقان »(١٦٣) ، يقرر أولا أن الفرقان هو القرآن ، ثم يزيد الأمر وضوحا أكثر فيقول أنه المنزل من لدن الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يأتى بعد ذلك فى توضيح الفرقان وأنه يفرق بين الشىء والشىء ، ويعمد الى طائفة كبيرة من الأمثلة

---

(١٤٥) الأنبياء/٢٣ .
(١٤٦) الأنبياء/٢٣ .
(١٤٧) الأنبياء/٢٤ .
(١٤٨) الأنبياء/٢٨ .
(١٤٩) الأنبياء/٤٣ .
(١٥٠) الحج/٢٦ .
(١٥١) النور/٢٦ .
(١٥٢) النور/٤١ .
(١٥٣) الشعراء/٨٩ .
(١٥٤) الشعراء/١١٦ .
(١٥٥) القصص/١٠ .
(١٥٦) السجدة/٢٤ .
(١٥٧) الأحزاب/٢٥ .
(١٥٨) الأحزاب/٢٥ .
(١٥٩) ، (١٦٠) فاطر/٣٠ .
(١٦١) مريم/٧٢ .
(١٦٢) مريم/٨٥ .
(١٦٣) آل عمران/٤ .

التى تبين هذا المعنى المطلوب ، يقول : « هو القرآن ، أنزله على محمد ، وفرق به بين الحق والباطل ، فأحل فيه حلاله ، وحرم فيه حرامه ، وشرع فيه شرائعه ، وحد فيه حدوده ، وفرض فيه فرائضه ، وبين فيه بيانه ، وأمر بطاعته ، ونهى عن معصيته » ... وهكذا يزيد الأمر وضوحا بالتفصيل والاطناب فى ذلك التفصيل عن طريق ما سماه البلاغيون فيما بعد بمراعاة النظير ...

وهكذا ، ففى تفسيره لقوله تعالى:«سورة أنزلناها وفرضناها»(١٦٤)، يقول : « فرض الله فيها فرائضه ، وأحل حلاله،وحرم حرامه،وحد حدوده ، وأمر بطاعته ونهى عن معصيته » ، وفى تفسيره لقوله تعالى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع »(١٦٥) ، « يقول : « هى المساجد ، أذن الله فى بنيانها ورفعها وأمر بعمارتها وبطهورها » ، وفى تفسيره لقوله تعالى :«لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا »(١٦٦) ، يقول : « أمر أن يهاب نبيه وأن يبجل وأن يعظم وأن يفخم ويشرف » ، وفى تفسيره لقوله تعالى : « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار »(١٦٧) ،يقول: « ولكل حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه ، اذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا » ، وفى تفسيره لقوله تعالى : « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل »(١٦٨) « يقول : « يغشى هنا هذا ويغشى هذا هذا » ، وفى تفسيره لقوله تعالى : « كتابا متشابها مثانى »(١٦٩) ، يقول : الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف ، وثنى الله فيه الفرائض والقضاء والحدود » ، وفى تفسيره لقوله تعالى : « وقدر فيها أقواتها »(١٧٠) ، يقول : « صلاحها ، خلق فيها جبالها وأنهارها وبحارها وشجرها وساكنها من الدواب كلها » ، وفى تفسيره لقوله تعالى : « وأوحى فى كل سماء أمرها »(١٧١) ، يقول : « خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها »، وفى تفسيره لقوله تعالى : « نكروا لها عرشها »(١٧٢) ، يقول : « جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره ، وزادوا فيه ونقصوا » ...

وأحيانا وهو يطنب فى تفصيله وتوضيحه يلحق آخر كلامه بأوله فى

---

(١٦٤) النور/١ .
(١٦٥) النور/٣٦ .
(١٦٦) النور/٦٣ .
(١٦٧) يس/٤٠ .
(١٦٨) الزمر/٥ .
(١٦٩) الزمر/٢٣ .
(١٧٠) فصلت/١٠ .
(١٧١)فصلت/١٢ .
(١٧٢) النمل/٤١ .

المعنى على سبيل ما يسمى فى البلاغة بتشـــابه الأطراف ، ومن ذلك فى تفسيره لقوله تعالى : « أرأيت من اتخذ الهه هواه »(١٧٣) ، يقول « كلمـا هوى شيئا ركبه وكلما اشتهى شيئا اتاه ، لا يحجزه عن ذلك تقوى » ، وفى قوله تعالى : « واجعلنا للمتقين اماما » (١٧٤) ، يقول : « قادة فى الخير ودعاة يؤتم بهم فى الخير » .

وكذلك كان يأتى بمعان متلائمة فى جمل مستوية المقادير على سبيل « التفويف » ، ومن ذلك فى تفسير قوله تعـالى : « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين »(١٧٥) ، يقول : « هذا عبد صدق قوله عمله ، ومولجه مخرجه ، وسره وعلانيته ، وشاهده مغيبه، فان المنافق عبد خالف قوله عمله ، ومولجه مخرجه ، وسره علانيته، وشاهده مغيبه » .

وهو يوجـــه توضيحه وتفصيله خصوصا للغامض من الآيات ، ومن ذلك مثـــلا قوله تعالى : « أيكم يأتينى بعرشها » (١٧٦) ، فان قتـــادة يوضح لماذا أراد سليمان عرش بلقيس قبل أن يأتيه القوم مسلمين فيقول : « قد علم نبى الله سليمـــان أن القوم متى ما يسلموا تحرم أموالهـــم مع دمائهم ، فأحب أن يؤتى به [بالعرش] قبـــل أن يكون ذلك من أمرهـم فقال : « أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتوا مسلمين » ، وفى تفسير قوله تعالى : « والتفت الساق بالساق »(١٧٧) ، يقول : « ماتت رجلاه فلا يحملانه الى شىء ، فقد كان عليهما جوالا » ، وفى تفسير قوله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين »(١٧٨) ، يقول : « كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فأحياهم الله فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان وموتتان » .

وهكذا يمضى قتادة فيوضح المعانى المبهمة فيقول أن « مد الظل»(١٧٩)، « هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس » ، وقوله تعالى : « ظلمات ثلاث »(١٨٠) : « المشيمة والرحم والبطن » ، ويونس « فى الظلمات »(١٨١):

---

(١٧٣) الفرقان/٤٣ .
(١٧٤) الفرقان/٧٤ .
(١٧٥) فصلت/٣٣ .
(١٧٦) النمل/٣٨ .
(١٧٧) القيامة/٢٩ .
(١٧٨) غافر/١١ .
(١٧٩) الفرقان/٤٥ .
(١٨٠) الزمر/٦ .
(١٨١) الأنبياء/٨٧ .

« ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت » ، وأن معنى أن السحرة « أسروا النجوى »(١٨٢) : أنه « قال السحرة بينهم أن كان هذا ساحرا فانا سنغلبه ، وان كان من السماء فله أمر » ، وأن معنى قوله تعالى « فنفخنا فيها : « نفخنا فى جيبها ... وهكذا

والخاصية الأخيرة التى نتحدث عنها فى موقف قتادة من التفسير اللفظى ، هى أنه كان فى تفسيره اللفظى يلقى على الكلمة بعض الأضواء التاريخية أو الاجتماعية التى تساعد على فهم المراد منها وتكشف عن معانيها الخاصة والمقصد الذى ترمى اليه بصفة ذاتية ، أى انه لا يفسر الكلمة فى حد نفسها ، وانما يفسرها تفسيرا اجتماعيا أو تاريخيا ، حتى يوضح ما الذى تدور حوله وماذا تعنى لا من حيث اللغة ولكن من حيث استخدامها التاريخى أو الاجتماعى فى هذا الموضع .

وعلى سبيل المثال نراه وهو يفسر كلمة « العقود » فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود »(١٨٣) ، يقول أولا انها « العهود » ، ثم يعود فيوضح الدلالة التاريخية والاجتماعية لهذه الكلمة وقت التنزيل ، فهو يقف بتطورات الكلمة عند أوان نزولها ولا يتعداه الى غير ذلك قط فيقول عن العقود انها عقود الجاهلية .ثم نجده يتمثل بعد ذلك بحديث يرويه لنا عن الرسول (ص) ، فيقول : « ذكر لنا أن نبى الله (ص) كان يقول :«أوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا فى الاسلام » ، فهو اذن بهذا الحديث يوضح أن العقود هى الأحلاف ، ثم ما هى نوعية الأحلاف هنا والتى يطالبنا الله عز وجل بالوفاء لها ، فيسوق قتادة هنا حديثا آخر للرسول (ص) ، يوضح به أن هذه الأحلاف هى التى اتفق فيها على الصلح وحقن الدماء وعلى المشورة ونجدة الملهوف ونصرة المظلوم وما الى ذلك من تلك الخلال الكريمة والتى اشتهر بها العرب ـ حقا ـ قبل الاسلام ، وحافظ عليها الدين الاسلامى والحديث الذى ساقه قتادة هنا فى هذا الصدد هو : « ذكر لنا أن فرات ابن حبان العجلى سأل رسول الله (ص) عن حلف الجاهلية فقال نبى الله (ص) : « لعلك تسأل عن حلف لحيم وتيم الله ، فقال : نعم يا نبى الله ، ، قال : « لا يزيده الاسلام الا شدة » .

وهكذا ، أوضح قتادة أولا معنى العقود فى حد ذاتها ، ثم ألقى لنا

---

(١٨٢) طه/٦٢ . (١٨٣) المائدة/١ .

بعض الأضواء التاريخية على هذه الكلمة حتى يكشف لنا عن معانيها ودلالاتها ، وذلك وقت تنزيلها ، فهو لا ينظر الى المفردات القرآنية نظرة زمنية واسعة ، وانما يقف بها فحسب عند الوقت التى نزلت فيه ويكتفى بذلك ، فهو مفسر سلفى بحت ٠

هذا المثال يعطينا اذن صورة واضحة لهذا النوع من التفسير اللفظى عند قتادة ، فهو فى هذه الكلمة ، كلمة العقود بين أولا معناها العام الأساسى ، ثم بين بعد ذلك معناها الخاص ذا الدلالات التاريخيةوالاجتماعية، وذلك لكى يكون التفسير واضحا شاملا وافيا ٠

ولقد كان قتادة يستعين فى ذلك الضرب من تفسيره ، **بالموروثات العربية** التى يمكن أن تساعده فى عمله هذا ، ومن الأمثلة هنا ، عندما يفسر قوله تعالى « وثيابك فطهر(١٨٤) » ، فيقول : « طهرها من المعاصى » ، فقد فسر اذن الطهارة هنا بأنها معنوية ، وهذا التفسير منه انما هو قائم على تمثله للموروث العربى فى ذلك الصدد ، اذ يقول بعد ذلك : « هى كلمة من العربية ، كانت العرب تقولها ، طهر ثيابك أى من الذنوب » ويقول « كانت العرب تسمى الرجل اذا نكث ولم يف بعهد آنه « دنس الثياب»، واذا وفى وأصلح قالوا « مطهر الثياب » ٠ وكذلك نفس الحال عندما يفسر قوله تعالى : ويقولون حجرا محجورا(١٨٥) » ، يقول : « هى كلمة كانت العرب تقولها ، كان الرجل اذا نزل به شدة قالوا حجرا : حراما محرما » ٠ وفى نفس الوقت لا تعدم وجود تفسير لفظى له استعان عليه **بالفاظ من اللغات واللهجات العربية الاخرى** ، ففى قوله تعالى : « لو أردنا أن نتخذ لهوا(١٨٦) ، فيقول : « اللهو فى بعض لغة أهل اليمن : المرأة » ، وفى قوله تعالى (« أتدعون بعلا » (١٨٧) ، يقول : « هذه لغة باليمانية ، ربا ، بلغة ازد شنوءة » ، وفى قوله تعالى : « وكانوا قوما بورا »(١٨٨) ، يقول :«البور بكلام عمان من أهل اليمن ومعناها هناك : هلكى » ، وفى قوله تعالى : « فنظر نظرة فى النجوم » (١٨٩) » ، يقول « كلمة من كلام العرب يقول اذا تفكر : نظر فى النجوم ٠٠٠ وهكذا ٠

والخلاصة ٠٠٠ أن قتادة كان فى تفسيره لألفاظ ومعانى القرآن الكريم

---

(١٨٤) المدثر/٤ ٠
(١٨٥) الفرقان/٢٢ ٠
(١٨٦) الأنبياء/١٧ ٠
(١٨٧) الصافات/١٢٥ ٠
(١٨٨) الفرقان/١٨ ٠
(١٨٩) الصافات/٨٨ ٠

يجنح الى السهولة فى الشرح والبعد عن التعقيد والغموض ، فيأتى بأقرب مرادف للكلمة الصعبة أو بأقرب عبارة صافية . ويسهم الى المعنى الجوهرى من أقرب طريق . ويستوحى معانى الكلمات ويستقرىء دلالتها . ويناى عن الخوض فى مناقشات لغوية مملة أو مسائل نحوية جافة ، وكذا مشاكل الاشتقاق والاصطلاح ، كما يفصح تفسيره عن مقدرة لغوية بارعة ، ونلمح عنده كثيرا من اللفتات البلاغية الماهرة . ورأيناه كيف يقيم صلة حية دافئة بينه وبين القارىء أو السامع تفسيره ، كما كان يهتم بتوضيح مايعود عليه الضمير أو اسم الاشارة أو الاسم الموصول أو ما شابه ذلك من أدوات. وينتبه للمقدم والمؤخر ، ولأسلوب الطباق ، ويوفر لتفسيرة الوحدة العضوية فى الشرح ، ويدرك المعنى الثانى وراء الكلمة كما وجدنا فى تفسيره اللفظى بعض اللفتات البلاغية الرقيقة مثل مراعاة النظير وتشابه الأطراف والتفويف ، وكذلك يوضح المعانى المبهمة ، ويلقى بعض الأضواء التاريخية والاجتماعية على الكلمة ، ويستعين فى هذا الصدد بالموروثات العربية وبألفاظ من اللغات واللهجات العربية الأخرى . وكل ذلك انما يترجم عن مكانته العظيمة والقيمة الكبرى التى يحتلها تفسيره بين التفاسير .

٥ - التفسير والقراءات :

وجدنا لقتادة فى تفسيره قراءات كثيرة . وقد أثبتنا له هذه القراءات، ودرسنا جملة كبيرة منها لنتبين أثرها فى التفسير ، ولقد اتضح أن قتادة كان أحيانا يتابع قراءة الجمهور ، وأحيانا كان يقول بقراءة شاذة ، أو بقراءة خاصة به . فهو له اختيار ، وهذا الاختيار له تأثير فى تفسيره ، وسنحاول فيما يلى أن نوضح بعض هذه القراءات، وكيفية توجيهها نحو التفسير ، وكيف يتأثر التفسير بهذه القراءة أو تلك عندما نقارن قراءته بقراءة الجمهور .

(أ) قوله تعالى : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام»(١٩٠) ، قرأ الجمهور « والأرحام » بالفتح ، والعامل فيها « واتقوا » ، ويكون المعنى على ذلك : اتقوا الله أن تعصوه واتقوا الأرحام أن تقطعوها .

وقرأ قتادة « والأرحام » بالخفض ، فالعامل فيها الباء ، وهى معطوفة على المكنى ، وقد كانوا يتساءلون بذلك . يقول الرجل : سألتك

---

(١٩٠) النساء/١ .

بالله والرحم أى أنشدك بالله وبالرحم ، فالمعنى على قراءة قتادة : واتقوا الله الذى تساءلون به وتساءلون بالأرحام كذلك ٠

وقراءة الخفض كانت لقتادة ولابراهيم النخعى والاعمش وحمزة ، وقد هاجم العلماء هذه القراءة ، فقال البصريون هو لحن لاتحل القراءة به ، وقال الكوفيون هو قبيح ، ووجه هجومهم أنه يقبح عطف الاسم الظاهر على المضمر فى الخفض الا باظهار الخافض ، كقوله « فخسفنا به وبداره الأرض(١٩١)» ، وذلك لأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحل كل واحد منهما محل صاحبه فكما لا يجوز مررت بزيد وبك ، كذلك لا يجوز مررت بك وزيد كما قال المازنى ٠ وقبحها آخرون من ناحية أصول الدين ، ففى الحديث الشريف قال رسول الله (ص) : « لاتحلفوا بآبائكم » وعلى هذا فاذا لم يجز الحلف بغير الله فكيف يجوز بالرحم ؟

ورأى القرطبى أنه يجوز أن تكون قراءة الخفض صحيحة من ناحية المعنى ، لأنه لا يبعد أن يكون الله قد أقسم بالأرحام كما أقسم بمخلوقاته الدالة على وحدانيته وقدرته تأكيدا لها حتى قرنها بنفسه ، والله أعلم ، ولله أن يقسم بما شاء ويمنع ما شاء(١٩٢) ٠ ويبدو أن قتادة كان يهتم بالمعنى وظاهره فى هذه القراءات ٠

(ب) قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين(١٩٣):

قال قتادة فى تفسير هذه الآية : « افترض الله غسلتين ومسحتين » ، ومعنى هذا أنه يقرأ كلمة « وأرجلكم » بالخفض ،خلافا للجمهور الذى قرأها بالنصب ، ومعنى النصب أن العامل فى كلمة « وأرجلكم » هو « اغسلوا » ، ولكنى معنى الخفض أن العامل فى كلمة « وأرجلكم » هو « امسحوا » والفرض عند الجمهور الغسل لا المسح ، وعند قتادة ومن على قراءته غسلتان ومسحتان ، ودافع كل فريق عن رأيه بكثير من الحجج والأدلة ، ليس هنا محل لسردها ، وانما المهم هو أن نفهم لماذا كان قتادة

---

(١٩١) القصص/٨١ ٠

(١٩٢) تفسير القرطبى ٤/٥ - ٥ ٠

(١٩٣) المائدة/٦ ٠

يذرأ بهذه القراءة ؟ ويبدو أن قتادة أخذ بظاهر الآية ، فكلمة « أيديكم » معطوفة على كلمة « وجوهكم » والعامل « اغسلوا » ، وذلك فى مقابل ، عطف « أرجلكم » على « رءوسكم » والعامل امسحوا ، فالأسلوب يوحى بالتقابل ، وظاهر الآية يقول ان الوضوء غسلتان ومسحتان كما قرر قتادة، ولقد كان قتادة مفسرا سلفيا ، يتورع عن الخوض فى مشاكل منطقية أو حيل نحوية ويكتفى بتقرير المعنى الواضح الظاهر للآية ، بدون تعقيد أو التواء ٠

جـ - ويجوز أن يكون قتادة قد رأى فى هذه القراءة أمرا لغويا ، فالمسح فى اللغة لفظ مشترك فيشمل معه الغسل أيضا ، حتى لقد قال ابن عطية : ذهب قوم ممن يقرأ بالكسر الى أن المسح فى الرجلين هو الغسل(١٩٤)، فالأمر اذن قد يبدو أنه أمر لغوى ، ولقد كان قتادة يذهب مذهب اللغة فيما يعن له من مسائل فى القراءة أو فى الفقة أو التفسير ٠٠ حتى نجده يقرأقوله تعالى : « وحرث حجر»(١٩٥) : حجر ، بفتح الحاء ، مخالفا بذلك قراءة الجمهور التى هى بكسر الحاء ، وذلك لأن الفتح أكثر دورانا على اللسان العربى من الكسر(١٩٦) ، فحبذ قتادة هذه القراءة اذن على قراءة الجمهور لانه رأى فيها شيوعا وعروبة ٠ وكذلك فقد قرأ قوله تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا»(١٩٧) « تركنوا » بضم الكاف ، مع أن قراءة الجمهور بفتح الكاف ، وذلك لأن ضم الكاف لغة تميم وقيس(١٩٨) ومعروف أنهما من أفصح العرب ٠

د - ولقد كان قتادة يخالف أحيانا المشهور العربى ويتبع المدرسة البصرية فى مذهبها ، والأمر واحد سواء مع المشهور أو مع المدرسة ، لأن المدار كله على النظرة اللغوية ، فمثلا نجده يقرأ قوله تعالى : « وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا(١٩٩) : «خالصة » بالنصب على الحال من الضمير فى الظرف الذى هو صلة لـ « ما » ، وخبر المبتدأ محذوف كقولك الذى فى الدار قائما زيد ، وذلك على مذهب البصريين(٢٠٠) كما

---

(١٩٤) تفسير القرطبى ٦/٩٢ ٠
(١٩٥) الانعام/١٣٨ ٠
(١٩٦) تفسير القرطبى٧/٩٤ ٠
(١٩٧) هود/١١٣ ٠
(١٩٨) القرطبى ٩/١٠٨ ٠
(١٩٩) الانعام/١٣٩ ٠
(٢٠٠) القرطبى٧/٩٦ ٠

قرأ قوله تعالى : « هيت لك»(٢٠١) : و «هئت لك»(٢٠٢) بالهمز ثم بكسرالهاء وضم التاء ، بمعنى تهيأت لك وتزينت وتحسنت ، من قول القائل : هئت للأمر أهيء هيئة ، وهى قراءة وان كانت غير مرضية لأنهـا لم تسمع فى العربية ـ قال الكسائى : « لم تحك هئت عن العرب(٢٠٣) ـ الا أن قتـادة أخـذ بها متابعة لمذهب البصريين ، والبصرة مدرسته العلميـة ، يقول البصريون : يقال هاء الرجل يهاء ويهيىء هيأة ، فهاء مثل جاء يجيىء ، وهئت مثل جئت(٢٠٤) : فالمسألة اذن مسألة قياس لغوى ٠

(هـ) وأحيانا نجد المعنى هو الأساس فى قراءة قتادة ، فقد قرأ قوله تعالى : « أو جاءوكم حصرت صدورهم»(٢٠٥) : حصرة صدورهم »(٢٠٦))،فى موضع خفض ، أى كارهة صدورهم ، على النعت لقوم ٠ وقرأ قوله تعالى: « بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين»(٢٠٧):«متعت(٢٠٨) على سبيل الخطاب ، لا على سبيل المتكلم كما يقرأ الجمهور ، وذلك لأنه يرى أن تفسير الآية هو أن « هذا قول أهل الكتاب لهذه الامة » ٠ وقرأ قوله تعالى : «قال هذا صراط على مستقيم»(٢٠٩) : «على»(٢١٠) بالرفع والتنوين، ومعناه رفيع مستقيم ، رفيع فى الدين والحق أو رفيع أن ينال ، مستقيم أن يمال ٠ وقرأ قوله تعالى : « يلتقطه بعض السيارة»،بالتاء«تلتقطه»(٢١٢)، لأن الفعل يعود على السيارة وهى مؤنث ٠ وقرأ قوله تعالى : « كأن لم تغن بالأمس »(٢١٣) : « يغن » بالياء(٢١٤) ، يعود به على « زخرفهـا » وهو مذكر ، وهكذا ٠

(هـ) وكثيرا ما نجد قراءته وان اختلفت شكلا مع قراءة الجمهور الا أنها تتفق معها فى المعنى ، ويدخل الأمر فى باب اللغات بمعنى ، فمثلا قرأ قتادة قوله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن »(٢١٥) ، بضم الضـاد

---

(٢٠١) يوسف/٢٣ ٠
(٢٠٢) تفسير ابن كثير٤/٣٠٧ ٠
(٢٠٣) القرطبى٩/١٦٤ ٠
(٢٠٤) السابق نفسه ٠
(٢٠٥) النساء/٩٠ ٠
(٢٠٦) تفسير السيوطى ٢/١٩١ ـ ١٩٢ ٠
(٢٠٧) الزخرف/٢٩ ٠
(٢٠٨) تفسير السيوطى٦/١٦ ٠
(٢٠٩) الحجر/٤١ ٠
(٢١٠) تفسير ابن كثير٤/٤٥٣ ٠
(٢١١) يوسف/١٠ ٠
(٢١٢) القرطبى٩/١٣٣ ٠
(٢١٣) يونس/٢٤ ٠
(٢١٤) تفسير القرطبى/٨/٣٢٨ ٠
(٢١٥) النساء/٤ ٠

وسكون الدال(٢١٦) ، وقراءة الجمهور بفتح الصاد وضم الدال ، ولكن هذا الاختلاف فى الشكل لا يستتبع اختلافا فى المعنى ، فالأمر كله تعـــدد فى اللغـــات ، وهى فى هذا الصدد بمعنى واحـــد . قال الأخفش : وبنو تميم يقولون « صدقة » والجمـــع « صدقات » ، وان شئت فتحت وان شئت أسكنت ، وقال المازنى : يقال « صداق » المرأة بالكسر ولا يقال بالفتح . ولكن حكى يعقوب وأحمد بن يحيى بالفتح عن النحاس(٢١٧) . وهكذا فرغم تعدد اللغات الا أنهم جميعا اتفقوا على معنى واحـــد . وكذلك فى قوله تعالى : « أفحكم الجاهلية يبغون »(٢١٨) ، فقد قرأ قتادة : « أفحكم » بفتح الحاء والكاف والميم(٢١٩) ، وهى قراءة وان اختلفت أيضا فى الشكل مع قراءة الجماعة : الا أنها تتفق معها فى المعنى ، فالمعنى واحد فى كلتـــا القراءتين فقوله تعـــالى : « أفحكم الجاهلية يبغون » هو بمعنى أفحكـــم حكم الجاهلية يبغون . وهكذا نجد لقتادة كثيرا من الاختيارات القرائية والتى لا تعارض قراءة الجمهور ولا ضرر منها ، وانما هى نوع من النظر واجتهاد ، يقرأ الجمهور قوله تعالى : « اذ تصعـــدون ولا تلوون على أحد »(٢٢٠) ، بضم التاء وكسر العين فى « تصعدون » ، ويقرأ قتـــادة « اذ تصعدون »(٢٢١) ، بفتح التاء والعين ، أى تصعدون الجبل ، وكلتـا القراءتين صواب ، والأمر لا يعدو اختلافا شكليا بسيطا ، قال أبو حاتم : « أصعدت اذا مضيت حيال وجهك ، وصعدت اذا ارتقيت فى جبل أو غيره. فالاصعاد : السير فى مستو من الأرض وبطون الأودية والشعاب(٢٢٢) . والصعود : الارتفاع على الجبال والسطوح والسلاليم والدرج ، [وعلى هذا] فيحتمل أن صعودهم فى الجبـــل بعد اصعادهم فى الوادى » ، أى أن القراءتين صحيحتان تصعدون أو تصعدون ، ولقد كان كل من الصاعـــد والمصعد منهزما فى أحد . بل ان هناك من ساوى بين القراءتين فى المعنى مساواة تامة : قال المفضل : صعد وأصعد وصعد بمعنى واحد(٢٢٣) .

(ز) وأحيانا نجد لقراءة قتادة الوجه البعيد ، ومن ذلك مثلا انه قرأ قوله تعالى : « بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم

---

(٢١٦) تفسير القرطبى٥/٢٤ .
(٢١٧) المصدر السابق نفسه٥/٢٣ .
(٢١٨) المائدة/٥٠ .
(٢١٩) تفسير القرطبى ٦/٢١٥ .
(٢٢٠) آل عمران/١٥٣ .
(٢٢١) تفسير القرطبى٤/٤٣٩ .
(٢٢٢) السابق نفسه .
(٢٢٣) السابق٤/٢٤٠ .

منها عمون »(٢٢٤) : « بل أدرك »(٢٢٥) ، بمعنى : ما أدرك ، على الانكار فقد فهم من تكرار «بل» : قصد النفى ، ويكون المراد اذ نمن قراءته : لم يدرك علمهم علم الآخرة ، أو ضل وغاب علمهم فى الآخرة فليس لهم فيها علم ، أو لم ينفذ لهم الى الآخرة علم ، وهو وجه بعيد كما ترى ٠

(ح) وأحيانا نجد قتادة يذكر فى تفسيره قراءة غيره ويستعين بها فى التفسير أو ربما يأتى بها على سبيل الاستشهاد ، وأكثر من يأتى له بقراءة أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود ، ومعروف أن كلا منهما كان يقرأ بقراءة خاصة ، وأنه كان لكل منهما مصحف خاص به ، كما نجد كثيرا من القراءات الأخرى والتى لا يذكر قتادة مصدرها وأصحابها ، ويكتفى بقوله: « وفى بعض القراءة » أو « وفى بعض الحروف » ٠

فها هو يفسر قوله تعالى : « ولبثوا فى كهفهم » (٢٢٦) ، فيقول : « فى حرف ابن مسعود » : « وقالوا ولبثوا » ـ بزيادة كلمة « وقالوا » ، فقتادة يأتى بقراءة ابن مسعود هنا ليستعين بها فى تفسيره ، فيقول : « يعنى أنه قال الناس ، ألا ترى أنه قال : « قل الله أعلم بما لبثوا » ٠ وفى قوله تعالى : « واذ اعتزلتموهم »(٢٢٧) ، يقول : « وهى فى مصحف عبد الله [بن مسعود] « وما يعبدون من دون الله » ، ثم يعقب على هذه القراءة بقوله : « هذا تفسيرها » ، وفى قوله تعالى : « فصيام ثلاثة أيام »(٢٢٨) ، يقول قتادة : وفى بعض القراءة : «فصيام ثلاثةأيامتتابعات»، ويقول الطبرى«وبه كان يأخذ قتادة »(٢٢٩)،وفىقوله أآلهتنا خيرأمهو»(٢٣٠)، يقول : « فى حرف أبى بن كعب : « وقالوا أآلهتنا خير أم هذا » ، يعنون محمدا (ص) » ٠

وهكذا ، يفسر قوله تعالى : « فاذكروا اسم الله عليها صواف »(٢٣١)، بقراءة ابن مسعود فيقول : « فى حرف ابن مسعود : « صوافن » أى معقلة

---

(٢٢٤) النمل/٦٦ ٠

(٢٢٥) تفسير الطبرى٦/٢٠ ، وتفسير السيوطى١١٤/٥ ، ونقلها محقق تفسير ابن كثير « ادارك » من مخطوطة الازهر وهو خطأ٢١٧/٦

(٢٢٦) الكهف/٢٥ ٠

(٢٢٧) الكهف/١٦

(٢٢٨) المائدة/٨٩ ٠

(٢٢٩) تفسير الطبرى١٩/٧ ٠

(٢٣٠) الزخرف/٥٨

(٢٣١) الحج/٣٦ ٠

قياما » ، وقوله تعالى : « وانتصروا من بعد ما ظلموا »(٢٣٢) ، بأنه « فى بعض القراءة ، « وانتصروا بمثل ما ظلموا » . وقوله تعالى : «ولم يجعل له عوجا »(٢٣٣) ، بأنه « فى بعض القراءة : « ولكن جعله قيما » ، وقوله تعالى : « وتتخذون مصانع لعلكم تخـــلدون »(٢٣٤) ، بأنه « فى بعض الحروف : « كأنكم تخلدون » ، وقوله تعالى : « يا حسرة على العباد»(٢٣٥)، بأنه فى بعض الحروف : « يا حسرة على أنفسها » ، وقوله تعالى : « انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا »(٢٣٦) ، بأنه « فى بعض القراءات : « انا جعلنا فى ايمانهم أغلالا » ، وقوله تعالى : « يحفظونه من أمر الله »(٢٣٧) ، بأنه فى بعض القراءة « يحفظونه بأمر الله » ... وهكذا .

اذن ، وجدنا قتادة فى استعانته بالقراءات فى تفسيره اما أن تكون القراءة للظاهر من معنى الآية ، أو لأمر لغوى، أو متابعة للمدرسة البصرية، أو على أساس المعنى ، أو اختلاف شكلى مع الاتفاق فى المعنى مع الجمهور، وأحيانا مخرجة لوجه بعيد ، كما استعان بقراءات أخرى لغيره .

٦ - التفسير والفقه :

هناك نظرات فقهية عديدة تصادفنا فى تفسير قتادة ، فهو تلميذ نجيب لمدرسة الفقه ذات المنزع العقلى . والتى أرسى أساسها عبد الله بن مسعود، فنحن نجد لقتادة كثيرا من التفسيرات الفقهية المبنية على نظر واع وايمان قوى .

وقتادة فى نظراته الفقهية يتبع التدرج المنهجى الاسلامى من الاستعانة بالقرآن فالحديث فأقوال الصحابة ، ثم يعمل فكره الخاص .

فهاهو يتبع آيات القرآن الكريم وما ترجيه له من معان ودلالات . ففى قوله تعالى : « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها »(٢٣٨) ، يرى قتادة أن المصلى يرد السلام كلاما اذا سلم عليه ولا يقطع ذلك عليه صلاته لأنه فعل ما أمر به(٢٣٩) ، فهو اذن يعتبر الامر الآلهى فى قوله « فحيوا » هو أمر نافذ ، ولو كان المسلم فى صلاته . ولعلنا لاحظنا أنه يتمسك بالظاهر،

---

(٢٣٢) الشعراء/٢٢٧ .
(٢٣٣) الكهف/١ .
(٢٣٤) الشعراء/١٢٩ .
(٢٣٥) يس/٣٠ .
(٢٣٦) يس/٨ .
(٢٣٧) الرعد/١١ .
(٢٣٨) النساء/٨٦ .
(٢٣٩) تفسير القرطبى ٥/٢٩٩ .

وهكذا كان منهجه ظاهريا فى أغلب نواحى التفسير والفقه ، فعندما سئل عن ذبائح نصارى بنى تغلب ، قال : « لابأس بها » ، فهو اذن يأخذ بظاهر الآية القائلة : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم »(٢٤٠) ٠

وأما من ناحية الحديث الشريف ، فقد كان قتادة كذلك يستعين به فى نظراته التفسيرية الفقهية ، وعلى سبيل المثال ، فقد قال رسول الله (ص): « ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان ، فيستهل(٢٤١) صارخا من نخسة الشيطان الا ابن مريم وأمه »(٢٤٢) ، وعندما يتعرض قتادة للموقف الفقهى فى مسألة الوراثة ، نجده يرى أن المولود أن خرج من بطن أمه حيا لا ميراث له وان تحرك وعطس ، مالم يستهل ثم مات ، فقد أخذ قتادة اذن شرط الاستهلال من ظاهر حديث رسول الله (ص) ، واعتبر الاستهلال هو شرط كون وجود المولود وكون وجود حق له ٠ وفى رأينا أن هذا الرأى من قتادة فيه ابعاد شديد وغريب على المنطق والعادة ، كما أن هذا الحديث لرسول الله (ص) يؤخذ على مأخذ الخبر وليس على أساس مصدرفقهى٠

وقتادة وان خانه الحظ فى هذه النظرة الفقهية ، فان له عديدا من النظرات الفقهية الاخرى التى استخدمها فى تفسيره والتى أقامها على اساس من استيحاء الحديث الشريف ، فاذا كان رسول الله (ص) قدنهى أن يجمع الرجل بين زوجته وعمتها أو بين زوجته وخالتها ، وقال (ص) : « انكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم »(٢٤٣) فقتادة يمنع الجمع بين المرأة وقريبتها وسواء أكانت بنت عم أو بنت عمة أو بنت خال ، أو بنتخالة(٢٤٤)، وذلك لأنه رأى شدة صلة القربى القائمة ، مما حدا به الى المنع ، استلهاما لحديث الرسول (ص) ٠ واذا كان الرسول (ص) يقول : « الكلب الأسود شيطان »(٢٤٥) فان قتادة كان يكره الصيد الذى يأتى به الكلب الأسود تبعا لهذا الحديث ٠

كذلك كان قتادة فى نظراته الفقهية يتبع ما جاء به الصحابة وكبار التابعين ، وعلى سبيل المثال نجده يرى كما رأى أبو بكر وعطاء وطاووس

---

(٢٤٠) المائدة/٥ ٠
(٢٤١) رفع صوته بالبكاء حين ولادته
(٢٤٢) تفسير القرطبى٥/٦٥ ٠
(٢٤٣) تفسير القرطبى٥/١٢٦ ٠
(٢٤٤) تفسير القرطبى٥/١٢٦ ٠
(٢٤٥) سنن النسائى - باب القبلة ص ١٢٢ ٠
(٢٤٦) تفسير القرطبى٦/٦٧ ٠

والحسن ، أن الجد عند عدم وجود الأب كالأب سواء يحجبون به الأخوة كلهم ولا يرثون معه شيئا(٢٤٧) ٠

ثم نجد لقتادة أيضا **كثيرا من النظرات الفقهية الخاصة** به ، ففى قوله تعالى : « وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف»(٢٤٨) ، يرى أن الرجل اذا كان يطء واحدة وأراد وطء الاخرى ، فانه ينوى تحريم الاولى على نفسه وآلا يقربها . ثم يمسك عنهما حتى يستبرىء الأولى المحرمة ، ثم يغشى الثانية(٢٤٩) ٠ وفى قوله تعالى : « انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير »(٢٥٠) ، يرى انه اذا أكل الرجل لحم الخنزير وعرضت عليه التوبة. فان تاب ، والا قتل(٢٥١) ٠

ونجد عنده شيئا من التـدقيق العقلى فى نظراته الفقهية ، فقد أثبت شبه العمد فى القتل(٢٥٢) ولعله كان يسد بذلك كل منفذ للاجرام والقتل ، وكان يرى أن المسلم اذا ترك التسمية عنـد الذبح وعند الصيد عامدا أو ناسيا فلا شىء (٢٥٣) . ولعله كان يرى أن اسلامه يشفع له ، كذلك كان يرى أن المريض ليس له أن يستأنف وهو فى شهرى التتابع(٢٥٤) ، وكأنه كان يعتبر فى ذلك الرأفة والتخفيف ٠

وكذلك نجد له فى تفسير قوله تعالى : « أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص(٢٥٥) كثيرا من الدقائق العقلية ، فالدية كاملة فى عين الأعور اذا فقئت(٢٥٦) لأن منفعة الأعور بعينه الواحدة ، واذا كان رسول الله (ص) قد قال: « فى العينين الدية » فان عين الأعور بمثابة العينين للسليم(٢٥٧) ٠

وربع الدية فى جفن العين(٢٥٨) ، وثلث الدية فى لسان الأخرس(٢٥٩)، والسن بالسن لا فضل للثنايا منها على الأنياب والأضراس والرباعيات(٢٦٠)،

---

(٢٤٧) تفسير القرطبى٥/٦٨ ٠
(٢٤٨) النساء/٢٣ ٠
(٢٤٩) القرطبى٥/١١٨ ٠
(٢٥٠) البقرة/١٧٣ ٠
(٢٥١) تفسير السيوطى٢/٢٥٦ ٠
(٢٥٢) القرطبى٥/٣٢٩ ٠
(٢٥٣) القرطبى٧/٧٥ ٠
(٢٥٤) القرطبى ٥/٣٢٨ ٠
(٢٥٥) المائدة/٤٥ ٠
(٢٥٦) القرطبى٦/١٩٣ ٠
(٢٥٧) القرطبى٦/١٩٥ ٠
(٢٥٨) القرطبى ٦/١٩٥ ٠
(٢٥٩) القرطبى ٦/١٩٧ ٠
(٢٦٠) القرطبى ٦/١٩٧ ٠

وسن الصبى يقلع قبل أن يثغر (قبل أن تسقط أسنانه الرواضع) يستأن بهـــا سنة حتى يعرف أتنبت أم لا ، ويكون فيها قدرها تاما(٢٦١) ، وفى الهاشمة عشرا من الأبل ، والمنقلة(٢٦٢) لا قود فيها(٢٦٣) ، ولا قصاص فى اللطمة(٢٦٤) ، وفى عقل جراحات النساء تعاقل المرأة الرجل الى ثلث دية الرجل ، اصبعها كاصبعه وسنها كسنه وموضحتها كموضحته ومنقلتها كمنقلتـــه ، فاذا بلغت ثلث دية الرجـــل ، كانت على النصف من دية الرجل(٢٦٥) ٠

ونلمح لديه كثيرا من النظرات الفقهية الصائبة التى ضمنها تفسيره، فالطفـــل الذى لم يظهر على عورات النساء(٢٦٦) ، هو الذى لم يحتلم ، والزينة فى قوله تعالى : « ولا يبدين زينتهن »(٢٦٧) ، هى:«الكحل والسواران والخاتم » ، « والقواعد من النساء »(٢٦٨) ، هن اللاتى انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد ، وأن « فصل الخطاب »(٢٦٩) ، « البينة على الطـالب واليمين على المطلوب » ، وأن التسبيح بعد « ادبار النجوم »(٢٧٠) ، ركعتان قبل صلاة الصبح ، وما الى ذلك كثير ٠

وقد نصادف فى تفسير قتادة أثرا تفسيريا فقهيا يجمع تفاصيـــل قاعدة اسلامية فقهية فى موضع واحد ، فمثلا عند تفسير قوله تعالى : « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا»(٢٧١) يجمع قتادة حكم الاسلام على القتل والقاتل ، فيقول : « وانا لا نعلمه يحل دم رجل مسلم من أهل هذه القبلة الا باحدى ثلاث : رجل كفر بعد اسلامه فعليه القتل ، أو زنى بعد احصانه فعليه الرجم ، أو قتل متعمدا فعليـــه القود » ٠ وفى تفسيره لقوله تعالى : « فجعله نسبا وصهرا »(٢٧٢) ، يقول: « ذكر الله الصهر مع النسب ، وحرم أربع عشرة امرأة : سبعا فى النسب، وسبعا من الصهر ، فاستوى تحريم الله من النسب والصهر » ٠

وأحيانا نجده يوسع النظرة الفقهية لتشمل آفاقا أبعد ـ وهذا قليل جدا ما نصادفه فهو ظاهرى محدود فى أكثر تفسيره ، ولعل من هـــذه

---

(٢٦١) القرطبى ٦/١٩٨ ـ ١٩٩ ٠
(٢٦٢) القرطبى ٦/٢٠٥ ٠
(٢٦٣) القرطبى ٦/٢٠٦ ٠
(٢٦٤) القرطبى ٦/٢٠٦ ٠
(٢٦٥) القرطبى ٦/٢٠٧ ٠
(٢٦٦) انظر آية٣١ من سورة النور
(٢٦٧) النور/٣١ ٠
(٢٦٨) النور/٦٠ ٠
(٢٦٩) سورة ص/٢٠
(٢٧٠) الطور/٤٩ ٠
(٢٧١) المائدة/٣٢ ٠
(٢٧٢) الفرقان/٥٤ ٠

النظرات الواسعة ، قوله فى تفسير الآية الكريمة : « غير مضار »(٢٧٣) : « وصية من الله ان الله تبارك وتعالى كره الضرار فى الحياة وعند الموت ، ونهى عنه وقدم فيه فلا تصلح مضارة فى حياة ولا موت » . وأيضا قوله فى تفسير الآيةالكريمة«فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول»(٢٧٤): « ردوا ذلك الحكم الى كتاب الله والى رسوله : بالسؤال فى حياته أو بالنظر فى سنته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم «(٢٧٥) .

وهكذا ، كان التفسير الفقهى لقتادة ، ينحو النحو الاسلامى ، من الاستعانة بالقرآن فالحديث فأقوال الصحابة وكبار التابعين ، ثم النظر الخاص ، وهو كما رأينا بسيط لا يكون مدرسة فقهية بالمعنى المفهوم لكلمة مدرسة ، وانما هى نظرات فقهية متناثرة ، لا يجمعها الا رباط من الاجتهاد المحدود الصائب فى كثير من الأحيان ، ولا بد من وجود هذه النظرات الفقهية الخاصة فى ذلك الوقت والذى لم يزل حينئذ مبكرا ، وذلك تأثرا بنشاط ابن مسعود الذى بلا شك كان له صداه فى كافة الدوائر العلمية فى ذلك العصر .

٧ - التفسير بالناسخ والمنسوخ :

النسخ قضية من أهم قضايا القرآن ، والمفسرون عموما يهتمون بالناسخ والمنسوخ فى تفسيرهم اهتماما كبيرا ، وقتادة فى تفسيره يهتم أيضا بالناسخ والمنسوخ ، ويعول عليه فى تفسير آيات عديدة ويذكر الناسخ والمنسوخ كأدوات توضيحية فى تفسيره .

فكثيرا ما نجده يقول ان هذه الآية نسختها آية كذا ، أو أن هذه الآية منسوخة بآية كذا ، وسوف نعرض هنا لموقف قتادة من قضية النسخ فى القرآن كما يفصح عنها تفسيره ، كما سنعرض أيضا لأهم المواضع التى قال فيها قتادة بالنسخ ونتناولها بالدرس والتحقيق .

(أ) معانى النسخ عند قتادة :

كان قتادة يرى أن النسخ هو **الازالة** ، أو **التبديل** ، أو **المحو والاثبات** أو **النقل من موضع الى موضع آخر :**

---

(٢٧٣) النساء/١٢ .

(٢٧٤) النساء/٥٩ .

(٢٧٥) القرطبى/٥/٢٦١ .

١ ـ فهو عندما يفسرقوله تعالى:« ما ننسخمن آية أو ننسها)٢٧٦)»، يقول : « كان ينسخ الآية بالآية التى بعدها ويقرأ نبى الله (ص) الآية أو اكثر من ذلك ، ثم تنسى وترفع » ، وفى رواية أخرى يقول قتادة : « كان الله تعالى ذكره ينسى نبيه (ص) ما شاء وينسخ ما شاء » ، ويستشهد قتادة على ذلك بحديث لأنس بن مالك رضى الله عنه فيقول » : حدثنا أنس ابن مالك أن اولئك السبعين من الأنصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا بهم وفيهم كتابا « بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » ثم أن ذلكرفع» .
فقتادة فى هذا يرى أن من معانى النسخ اذن : **الازالة ، أوالانساء**

٢ ـ وعندما يفسر قتادة قوله تعالى:«واذا بدلنا آية مكانآية»(٢٧٧)، يقول : هو كقوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها » واذن فهو يرى أن من معانى النسخ : **التبديل** .

٣ ـ وعندما يفسر قوله تعالى : « وعنده أم الكتاب(٢٧٨) » ، يقول: « جملة الكتاب وأصله » ، مما يفهم أن ما كان ينزل من القرآن على الرسول (ص) منجما ، انما نسخة مستنسخة من القرآن المحفوظ فى السماء ، يقول تعالى : « بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ(٢٧٩) » ، ويقول عز وجل : « فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون»(٢٨٠) ، وقتادة عندما يفسر هذه الآية يقول : « ذاكم عند رب العالمين . فأما عندكم فيمسه المشرك النجس والمنافق الرجس » .
واذن ، فقتادة يرى هنا ان من معانى النسخ : **النقل من موضع** الى موضع ، كنقولك نسخت الكتاب .
٤ ـ وعندما يفسرقوله تعالى: «يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب »(٢٨١) يقول : « هو مثل قوله : » ماننسخ من آية أو ننسها ، وعلى هذا فهو يرى ايضا أن من معانى النسخ : **المحو والاثبات** .

وهكذا كان قتادة يرى للنسخ أربعة معان : الازالة أو الانســـاء ، والتبديل ، والنقل ، والمحو والاثبات .

---

(٢٧٦) البقرة/١٠٦ .
(٢٧٧) النحل/١٠١ .
(٢٧٨) الرعد/٣٩ .
(٢٧٩) البروج٢١/٢٢ .
(٢٨٠) الواقعة/٧٨ـ٧٩ .
(٢٨١) الرعد/٣٩ .

ويظهر لنا من خلال هذا العرض ثلاث نقاط مهمة :

النقطة الأولى : أن قتادة يرى أن المراد بالآية هنا هو الآية القرآنية، وليس المراد بها أى معنى اشتقاقى آخر ٠

النقطة الثانية : أن قتادة يرى أن النسخ قد وقع بالفعل فى القرآن ، وليس النسخ مسألة وهمية ولا مجازية ٠

النقطة الثالثة : أن قتادة يعترف بمنسوخ الحكم واللفظ والتلاوة ٠

(ب) أهم دعاوى النسخ عند قتادة :

يمكن أن نقسم أهم دعاوى النسخ عند قتادة الى قسمين رئيسيين : قسم يدور حول الآيات التى قال انها نسخها القتال ، وقسم آخر يحتوى على بقية المسائل الاخرى المتنوعة ٠

القسم الأول :

١ ـ قوله تعالى : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا »(٢٨٢) :

قال قتادة « ثم أنزل الله تعالى ذكره ، براءة ، وأمر بقتالهم . فقال : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم »(٢٨٣) ٠

فهو يرى قوله تعالى : « وذر الذين » منسوخا بقوله تعالى « فاقتلوا المشركين » ٠

ولكن يحتمل أن تكون الآية على معنى التهديد ، ولقد جاء فى نفس الآية : « أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون » ، وقال أبو جعفر النحاس : البين فيه أنه ليس بمنسوخ وأنه على معنى التهديد لمن فعل هذا ، ذره ، فان الله مطالبه ومعاقبه(٢٨٤)٠

٢ ـ قوله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها(٢٨٥) :

قال قتادة : « وكانت هذه قبل براءة ، كان نبى الله (ص) يوادع

---

(٢٨٢) الانعام/٧٠ ٠ (٢٨٣) التوبة/٥ ٠

(٢٨٤) الناسخ والمنسوخ ـ انظر موضع الاية ٠

(٢٨٥) الانفال/٦١ ٠

القوم الى أجل، فاما أن يسلموا واما أن يقاتلهم ، ثم نسخ ذلك بعدفى براءة، فقال : « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، ونبذوا الى كل ذى عهد عهده فى براءة ، وأمر بقتالهم حتى يقولوا لا اله الا الله ويسلموا ولا يقبل منهم الا ذلك ، وكل عهد كان فى هذه السورة وفى غيرها ، وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون ، فان براءة جاءت بنسخ ذلك ، فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا لا اله الا الله » ٠

فقتادة يرى أن قوله تعالى : « وان جنحوا للسلم » منسوخ بقوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ٠

وحقا ، فان لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة ، لقد جانب الصواب مفسرنا قتادة فى رفعه دعوى النسخ على هذه الآية ، **للأسباب الآتية :**

أولا ـ الاسلام دين سلام لا دين حرب ، فكيف يأمر بحرب من مال للسلام ؟

ثانيا ـ تقول الآية ان جنحوا هم للسلم ، فهم اذن من بدأوا بالجنوح فشرط الصغار عندهم موجود ، وشرط عزة الاسلام عندنا موجود أيضا ٠

ثالثا ـ الجنوح كان للسلام فلم الحرب اذن ؟

رابعا ـ اذا كانوا قد جنحوا للسلم فقد آثروا السلامة ، واذن فهم لن يمتنعوا عن أداء الجزية مثلا ، فلم قتالهم اذن ؟

خامسا ـ هذه الآية نزلت فى بنى قريظة ، فهم يهود أهل كتـــاب ، وفى الاسلام اذن بمصالحة أهل الكتاب على الجـزية ، أما آية « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » فهى للمشركين عامة ولمشركى العرب من عبدة الأوثان خاصة والذين لا يمكن قبول جزية منهم ، فكيف تطابق هـــذه الآية بتلك ؟

سادسا ـ الحكم بقتل المشركين لا ينفى الحكم بقبول الصلح ان رفعوا **أيديهم بالسلام ، والناسخ لا يكون الا بأن ينفى المنسوخ من كل وجه ٠**

وهكذا جانب الصواب مفسرنا قتادة فى قوله بنسخ « وان جنحوا للسلم » ، وقد قسا الطبرى فى حكمه على قتادة فقـــال : « فاما ما قاله

قتادة ومن قال مثل قوله ان هذه الآية منسوخة : فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل »(٢٨٦) ٠

والقول : سامح الله قتادة ٠

٣ ـ قوله تعالى : « فاما منا بعد واما فداء »(٢٨٧) :

قال قتادة : « كان المسلمون اذا لقوا المشركين قاتلوهم ، فاذا أسروا منهم أسيرا ، فليس لهم الا أن يفادوه أو يمنوا عليه تم يرسلوه ، فنسخ ذلك بعد قوله : « فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم »(٢٨٨) ٠

فهو يرى اذن أن قوله تعالى « فاما منا بعد واما فداء » منسوخ بقوله تعالى : « فشرد بهم من خلفهم » ٠

ولكن أجمع العلماء على أن الوالى له الخيار : اما أن يقتل الأسير أو يمن عليه أو مفادته (أو استرقاقه عند الشافعى)(٢٨٩) والمأثور عن رسول الله (ص) أنه كان يفعل ذلك : فالرسول (ص) أمر بقتل عقبة ابن بى معيط(٢٩٠)وفادى أسارى بدر.ومن على ثمامة بن أثال الحنفى(٢٩١)٠٠ وهكذا ، فدعوى النسخ مردودة ٠

٤ ـ قوله تعالى : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه »(٢٩٢) :

قال قتادة : « ثم نسخ بعد ذلك فقال : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » (٢٩٣) ٠

وصحيح أن الآية لا تصرح بمسالمتهم ، ولكنها أيضا لا توجب قتالهم الا اذا بدأوا هم بالقتال ، فالنهى فى الآية نهى عن البدء بقتالهم فى المسجد الحرام لحرمته ، فالأمر بقتالهم عام ، ولكن النهى خاص بالحرم ، فلا وجه اذن للقول بالنسخ ، ومذهب الجمهور فى التخصيص أنه يجوز بالسابق وباللاحق كما يجوز بالمقارن ٠

---

(٢٨٦) تفسير الطبرى١٤/٤٢ ٠
(٢٨٧) محمد/٤ ٠
(٢٨٨) الانفال/٥٧ ٠
(٢٨٩) تفسير ابن كثير٤/١٧٣ ٠
(٢٩٠) السيرة لابن هشام٢/٦٤٤ ٠
(٢٩١) السيرة لابن هشام٤/٦٣٨ ٠
(٢٩٢) البقرة/١٩١ ٠
(٢٩٣) البقرة/١٩٣ ٠

٥ - « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا»(٢٩٤) :

قال قتادة « ثم نسخ ذلك بعد فى براءة وأمر نبيه (ص) أن يقاتل المشركين بقوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ٠

ودعوى النسخ هنا مردودة أيضا وذلك للأسباب الآتية :

أولا : يقول الله : « وألقوا اليكم السلم » ، أى جنحوا للسلام ، **فهذا** شرط الجنوح للسلم ، وقد رأينا أن من جنح للسلام لا يقاتل ٠

ثانيا : توضح الآية أنهم هم البـــادئون بالاعتزال والجنوح فشرط الصغار عندهم موجود ، وشرط عزة الاسلام موجود عندنا أيضا ، فلم القتال اذن ؟

ثالثا : يقول الله : « فان اعتزلوكم » ، وهنا كما رأينا شرط الاعتزال والكف ، وقد أقر الاسلام أن العدو اذا بعد لا يقاتل وكان الرسول (ص) اذا تقابل الصفان لا يأمر المسلمين ببدء القتال ، واذا انفرج الفريقـــان لا يأمر بمعاودة الكرة ٠

رابعا : الشروط والاستثناءات فى الآية تنفى دعوى النسخ ، **يقول** الله : « فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم » ثم يقول : « الا الذين يصلون الى قوم بيكم وبينهم ميثاق » ويقول : « أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم » ويقول : « **فان اعتزلوكم** » ٠

خامسا: ومما يؤكد ذلك أنهم لو نقضوا الشروط خرجوا من الاستثناءات ووجب السيف ، يقول تعالى : « **فان لم** يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم ، **فخذوهم واقتلوهم** حيث ثقفتموهم **وأولئكم** جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا » ونلاحظ قوله تعالى : « وأولئكم » مخصصا اياهم لا غيرهم ٠

سادسا : تتحدث الآية عن المنافقين ، وقد عرفنا من السيرة أن الرسول (ص) لم يكن يأمر بقتلهم حتى لا يتحدث التاريخ أن محمدا (ص) يقتـــل أصحابه(٢٩٥) ٠

ولهذه الأسباب رأينا أن نرد دعوى النسخ ٠

---

(٢٩٤) النساء /٩٠ ٠ (٢٩٥) السيرة لابن هشام٣/٢٩١ ٠

٦ - قوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن»(٢٩٦) ٠

قال قتادة : « ثم نسخ بعد ذلك فأمر بقتالهم فى سورة براءة . ولا مجادلة أشد من السيف حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (ص) أو يقروا بالخراج » ٠

ولكننا اذا نظرنا فى الآية الكريمة لوجدنا فى آخرها استثناء من الله ، يقول تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن **الا الذين ظلموا منهم** » ، واذن فالآية تقسم أهل الكتاب فريقين : فريق قبل الجدال ، ولربما كان العقل والمنطق السليم وراء هذا الجدال فيؤمنوا ، واذن لا موجب للسيف هنـــا ، وفريق آخر هم الذين ظلموا ، ومن ظلم حق عليه السيف ، وكذلك يجب السيف على من خرج من الجدال الى الظلم أى من الفريق الأول الى الفريق الآخر ٠

٧ - قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين : «(٢٩٧) ٠

قال قتادة : « نسختها » فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ٠

ودعوى النسخ هنا مردودة كذلك للأسباب الآتية :

أولا : الأمر الالهى بعدم النهى عن بر هؤلاء هنا أمر قوى ٠

ثانيا : ان الله يحب المقسطين،وليس بحرام أن يبر المؤمن رجلايحاربه، ظالما لم يكن فى ذلك عورة له ، ولقد كانت **مروءة المسلمين فى القتال مضرب** الأمثال ، والبر والرحمة والانسانية لا يمكن أن يقول أحد بنسخهـــا فكيف بالاسلام وهو دين البر والرحمة والانسانية ؟

ثالثا : لا يجب أن نغفل أن هؤلاء لم يقاتلوا بعد ولم يطغوا فلم يخرجوا المؤمنين من ديارهم ، واذن فهم وان كانوا فى الحقيقة أعداء ، فان الأمـــر حيالهم يكون بتمييزهم بين الثلاثة : الاسلام ، أو الجزية ، أو القتال ، وكان قواد المسلمين على هذه السنة ٠

رابعا : نزلت آية الممتحنة فى أسماء بنت أبى بكر ، فقد زارتها أمها قتيلة بنت عبد العزى ومعها هدايا ، ورفضت أسماء وقالت لأمها : لا أقبل لك

---

(٢٩٦) العنكبوت/٤٦ ٠ (٢٩٧) الممتحنة/٨ ٠

هدية ولا تدخلى على حتى يأذن رسول الله (ص) ، فذكرت ذلك عائشة لرسول الله (ص) فنزلت هذه الآية ، فاذن لم يأمر الله بقتالها وانما أمر بالبر لها ٠

وهكذا نرد ما قاله قتادة من النسخ ٠

٨ - قوله تعالى : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون(٢٩٨) :

قال قتادة : « نسختها ما فى الانفال ، فاما تثقفنهم فى الحرب فشردبهم» وفى براءة : وقاتلوا المشركين كافة(٢٩٩) » . أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن اله الا الله وأن محمدا رسول الله » ٠

ولكن الأمر الالهى بالغفران لهؤلاء هنا أمر قوى،كما أنه طالما كان هناك أمر للمؤمنين بالغفران لهم ، فدعوى النسخ مردودة ، والا ، فكيف يكون سيف ؟ وكيف يكون غفران ؟

٩ - قوله تعالى : «فاعف عنهم واصفح »(٣٠٠) :

قال قتادة : « لم يؤمر يومئذ بقتالهم ، فأمر الله عز ذكره أن يعفو عنهم ويصفح ، ثم نسخ ذلك فى براءة فقـــال : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »(٣٠١) ، وهم أهل الكتاب ، فأمر الله جـــل ثناؤه نبيه (ص) أن يقاتلهـــم حتى يسلموا أو يقروا بالجزية » ٠

ولكن من المحتمل ألا تكون الآية منسوخة ، وتكون على معنى أن الصفح يدوم طالما لم يغدروا ولم يخرجوا للحرب ولم يمتنعوا عن أداء الجزية والاقرار بالصغار ، فهم أهل كتاب ، وطالما كان ذلك منهم لم يحاربوا ٠

---

(٢٩٨) الجاثية/١٤ ٠ (٢٩٩) التوبة/٣٦ ٠

(٣٠٠) المائدة/١٣ ٠ (٣٠١) التوبة/٢٩ ٠

١٠ - قوله تعالى : « فاصفح الصفح الجميل »(٣٠٣) :

قال قتادة : « ثم نسخ ذلك بعد فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسله ، لا يقبل منهم غيره » .

ولكن السياق النفسى فى الآية يوحى بأنها مواساة وعزاء من الله سبحانه وتعالى لنبيه (ص) ، ودعوة الى الحلم والصبر والتسامح .

١١ - قوله تعالى : «فاصفح عنهم »(٣٠٣) :

قال قتادة : « قال اصفح عنهم ثم أمر بقتالهم » .

ولكن يبدو واضحا فى الآية أنها دعوة الى التسامح والصبر ، وخاصة أن الله قد توعدهم بالعقاب **فيما بعد** فى هذه الآية فقال : «**فسوف يعلمون** ».

القسم الثانى : مسائل متفرقة :

١٢ - قوله تعالى : «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته »(٣٠٤) :

قال قتادة : « نسختها هذه الآية التى فى التغابن » : « فاتقوا الله ما استطعتم »(٣٠٥) .

ودعوى النسخ هنا مردودة للاسباب الآتية :

أولا : يظهر أن قوله : « ما استطعتم » هو تبيين وتوضيح لقوله « حق تقاته » ، اذ يذكر المفسرون أنه لما نزلت : « **اتقوا الله حق تقاته** » فزع الكثيرون من الصحابه وتخوفوا ألا يقوموا بذلك حق القيام ، فنزلت « **ما استطعتم** » تبيينا وتوضيحا ، ولا يكون المبين أو الموضح ناسخا .

ثانيا : وأيضا ، فقوله تعالى : « **ما استطعتم** » تخفيف ويسر ، وقد فهم قتادة ذلك وذكره فى تفسيره فقال : « ثم انزل التخفيف واليسر وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه ، فقال : « **فاتقوا الله ما استطعتم** ، فجاءت هذه الآية فيها تخفيف وعاقبة ويسر » ، ولا يكون التخفيف والتيسير ناسخا .

ثالثا : وعلى هذا ، فقوله تعالى « حق تقاته » ليس كقوله تعالى « ما استطعتم » من ناحية النسخ ، لأن الناسخ لابد أن يكون مخالفا للمنسوخ من جميع جهاته ورافعاله ومزيلا لحكمه .

---

(٣٠٢) الحجر/٨٩ .
(٣٠٣) الزخرف/٨٩ .
(٣٠٤) آل عمران/١٠٢ .
(٣٠٥) التغابن/١٦ .

١٣ - قوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »(٢٠٦) :

قال قتادة : « كان أهل الجاهلية يطلق أحدهم ليس لذلك عدة ، فجعل عدة الطـــلاق ثلاث حيض ، ثم انه نسخ منها المطلقة التى طلقت ولم يدخل بها زوجها ، فقال فى سورة الأحزاب : « ياأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا »(٢٠٧) ، فهذه تزوج ان شاءت منيومها، وقد نسخ من الثلاثة فقال : « واللائى يئسن من المحيض من نسائكـــم ان ارتبتم »(٢٠٨) ، فهـــذه : العجوز التى لا تحيض ، « واللائى لم يحضن » فعدتهن ثلاثة أشهر « أجلهن أن من أمرها فى شيىء • ونسخ من الثلاثة قروء الحامل ، فقال : « أجلهن أن يضعن أحمالهن » ، فهذه ليست من القروء فى شىء انما أجلها أن تضع حملها •

وكما هو واضح من تفسير قتادة ، فان استثناءات المطلقة : البكر التى لم يدخل بها ، واليائسة من المحيض ، والحامل ، انمـا هى أنوا عمن التفصيل وعلى سبيل التخصيص ، وليست بنواسخ •

١٤ - قوله تعالى : « والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم »(٢٠٩) :

قال قتادة : « كان الرجل فى الجاهلية يعاقد الرجل فيقول : دمى دمك وترثنى وأرثك وتطلب بى وأطلب بك ، فلما جاء الاسلام ، بقى منهم ناس ، فأمروا أن يأتيهم نصيبهم من الميراث وهو السدس ، ثم نسخ ذلك بالميراث فقال : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله »(٢١٠) •

ولكن هذه الدعـوى مردودة كذلـك ، وقد فسر قتادة قوله « والذين عقدت أيمانكم» بأنهم « هم الحلفاء » ، ويكون المعنى على ذلك أن الحلفاء الذين عقدت أيمانهم من الحلف آتوهم نصيبهم من النصرة والمؤازرةوالمعونة والرأى والنصيحة ، وليس بشرط اعطائهم الميراث فحسب ، وان أحـلاف

---

(٢٠٦) البقرة/٢٢٨ •
(٢٠٧) الاحزاب/٤٩ •
(٢٠٨) الطلاق/٤ •
(٢٠٩) النساء/٣٣ •
(٢١٠) الانفال/٧٥ •

الجاهلية التى قامت على نجدة الملهوف ومد يد العون للمحتاج ونصرة المظلوم : لم يزدها الاسلام الا شدة كما قال الرسول (ص) ، وقال (ص) : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم، ولو دعى به فى الاسلام لأجبت (٣١١) .. فكيف يكون الامر كذلك ، وتنسخ الآية التى تعطى الحلف حقهم ؟ ..

١٥ - قوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل »(٣١٢) :

قال قتادة : « كان » الفيىء « فى هؤلاء ، ثم نسخ ذلك فى سورة الأنفال ، فقال : « واعلموا أن ما غنمتم من شيىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (٣١٣) ، فنسخت هذه ما كان قبلها فى سورة الحشر ، وجعل الخمس لمن كان له الخمس فى سورةالحشر.

ولكن سورة الحشر نزلت بعد سورة الأنفال بسنة(٣١٤) ، فكيف ينسخ المتقدم المتأخر ؟

١٦ - قوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا(٣١٥) :

فسر قتادة السكر هنا بالخمر ، وقال « هى خمور الأعاجم » ، ثم صرح بأن الآية منسوخة بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون »(٣١٦) .

ويمكن رد هذه الدعوى للاسباب الآتية :

أولا : تفسير السكر بالخمر أمر لا تضبطه اللغة ضبطا ، ففى لسان العرب(٣١٧) أن السكر فى اللغة له معان كثيرة منها الخمر نفسها ومنها النبيذ والنضب والامتلاء والطعام .

---

(٣١١) القرطبى ٦/٣٣ .
(٣١٢) الحشر/٧ .
(٣١٣) الانفال/٤١ .
(٣١٤) الاتقان١/٢٦ ، الواحدى ٢٣٦
(٣١٥) النحل/٦٧ .
(٣١٦) المائدة/٩٠ .
(٣١٧) مادة سكر .

ثانيا : هناك فرق بين الخمر والنبيذ ، نلحظه فى حديثه (ص) : فاشربوا فى كل وعاء غير ألا تشربوا مسكرا »(٣١٨) ٠

ثالثا : يمكن أن يفهم من آية النحل معنى الاخبار لا معنى الحكم ، أى أن الله سبحانه وتعالى خلق لنا هذه الثمار فى الأصل طيبة ، كما صنعنا نحن منها الحرام ، والأخبار لا تنسخ

رابعا : وقد يكون الخبر اذن هنا على معنى التوبيخ والتأنيب ٠

خامسا : حينما نزلت هذه الآية كانت الخمر حلالا ثم حرمت بعد ذلك أى أن معنى النسخ هنا هو أن الخمر نسخت اباحتها ، لا أن الآية هى التى نسخت(٣١٩) ٠

سادسا : وكما قال الطبرى : انه ليس فى التنزيل دليل على أنه منسوخ ولم يرد بنسخه خبر من الرسول ولا أجمعت عليه الأمة(٣٢٠) ٠

سابعا : وفى نفس الوقت لا يجوز اجتماعه وناسخه ٠

وهكذا ٠٠٠

عرضنا لأهم دعاوى النسخ فى تفسير قتادة ، لايماننا بأهمية هذه القضية فى التفسير ، وقد رأينا أن أكثر دعاوى النسخ عند قتادة دعاوى مردودة ، وليس قتادة فى ذلك مختلفا عن المفسرين القدماء ، فالحق أنهم غالوا مغالاة شديدة فى رفع دعاوى النسخ ، وخاصة فيما يتعلق بالسيف ، فكم نسخوا بآية السيف ، ولقد كانت المغالاة فى هذا الصدد أمرا مسيئا فى كثير من الأحيان لمعانى القرآن والاسلام وهنالك قصة لابن سلامة ، وقد جلس يقرأ عليه كتابه فى الناسخ والمنسوخ (٣٢١) ، وابنته تسمع ، فسمعت فيه أن قوله تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا »(٣٢٢) ، وأن المراد بذلك غير أهل القبلة من أسرى المشركين ،

---

(٣١٨) صحيح مسلم - كتاب الاشربة ٦٨٢/٤ - طبعة الشعب ٠

(٣١٩) واضح البرهان ص ١٥ ٠

(٣٢٠) الطبرى٩٣/١٢

(٣٢١) مطبوع على هامش أسباب النزول للواحدى ٠

(٣٢٢) الانسان/٨ ٠

ونسخ اطعام أسرى المشركين بآية السيف ، وفزعت الابنة من هـذا القول الذى يخدش حياء الأدب الاسلامى والمروءة الاسلامية ، فقالت : أخطأت يا أبت : فقال لها : وكيف ؟ قالت : أجمع المسلمون على أن الأسير يطعـم ولا يقتل جوعا . قال : صدقت(٣٢٣)٠٠٠ هذا هو ديننا واسلامنا الحنيف ٠

٨ ـ التفسير التاريخى :

(١) اسباب النزول :

يهتم قتادة فى تفسيره بأسباب نزول الآيات اهتماما كبيرا ،ويستعين بها على التفسير والتوضيح ، فيقول ان هذه الآية نزلت فى كذا ، أو حدث كذا فنزلت آية كذا ، ويمكن لنا أن نقدر الآيات التى فسرها قتـــادة على أساس أسباب النزول بأنها تلتهم نصف تفسيره ٠

ومن الأمثلة على ذلك عندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا »(٣٢٤) ، يقول : « هى أول آية أنزلت فى القتال فأذن لهم أن يقاتلوا » ، وفى تفسير قوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم »(٣٢٥) ، يقول : « نزلت فى زيد ، انه لم يكن بابنـه » ، وفى تفسير قوله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حسنـا »(٣٢٦) ، يقول : نزلت فى سعد بن أبى وقاص لما هاجر ، قالت أمه والله لا يظلنى بيت حتى يرجع فأنزل الله فى ذلك أن يحسن اليهما ولا يطيعهما فى الشرك » ، وفى تفسير قوله تعالى : « انك لا تهدى من أحببت »(٣٢٧) ، يقول : « ذكر لنـا أنها نزلت فىأبى طالب ، التمس [الرسول (ص)] منه عند موته أن يقول لا اله الا الله لكيما تحل له بها الشفاعة ، فأبى عليه » ، وفى تفسير قوله تعالى : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكـم نعمتى »(٣٢٨) ، يقول : « ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على رسول الله (ص) يوم عرفة يوم جمعة ، حين نفى الله المشركين عن المسجد الحرام وأخلص للمسلمين حجهم »٠٠٠ وهكذا ٠

والملاحظ على قتادة فى هذا الصدد أنه يأتى بقول واحد فى سبب النزول ، ولا نجد له تعقيبا فى ذلك أو رأيا ، فلا يقول هذه الرواية صحيحة

---

(٣٢٣) الاتقان٢/٢٤ ٠
(٣٢٤) الحج/٣٩ ٠
(٣٢٥) الأحزاب/٤٠ ٠
(٣٢٦) العنكبوت/٨ ٠
(٣٢٧) القصص/٥٦ ٠
(٣٢٨) المائدة/٣ ٠

أو هذه الرواية خطأ ، ولا يذكر أقوال غيره من المفسرين فى هـذا الصدد وانما هو يكتفى برواية واحدة له ، ويكتفى أيضا بمجرد ذكرها فحسب ٠

اللهم الا شيئا واحدا فقط اهتم به قتادة ، وهو التنبيه على مكية السورة أو الآيات ومدنيتها ، فمثلا فى أول سورة يونس يقول « نزلت بمكة الا ثلاث آيات وهى قوله سبحانه وتعالى : « فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك » الى آخر الثلاث آيات : ، ويقول فى أول الأعراف : « مكية الا آية » : « واسألهم عن القرية » ، ويقول فى أول الحج : « مدنية الا أربع آيات : « وما أرسلنا من قبلك من رسول » : « عقيم » ويقول فى أول التحريم: « المدنى منها الى رأس الحشر والباقى مكى » ٠٠٠ وهكذا ٠

فقتادة لم يهتم من الناحية الدراسية بموضوع النزول الا بالتنبيه على كون هذه السورة مدنية أو مكية أو مدنية وفيها مكى ٠٠٠ وما الى ذلك ، وهو أمر يشكر له ، وهناك أثر لطيف أتى به صاحب الاتقان عن قتادة ، يجمع فيه قول قتادة فى مسألة المكى والمدنى ، وهو : « قال أبوبكر الانبارى ، حدثنا اسماعيل بن اسحاق القاضى، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا همام عن قتادة قال : نزل بالمدينة من القرآن : البقرة ، وآل عمران، والنساء، والمائدة ، والأنفال ، وبراءة ، والرعد ، والنحل ، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد ، والفتح ، والحجرات ، والرحمن ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر، والممتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، ويا أيها النبى لم تحرم الى رأس العشر ، واذا زلزلت ، واذا جاء نصر الله ٠ هؤلاء السور نزلن بالمدينة وسائر القرآن مكى »(٣٢٩) ٠

وهذا الذى ذهب اليه قتادة هو رأى الجمهور باستثناء انه اعتبر « الرعد » و « التحريم » الى رأس العشر مدنيتين ، وهما عند الجمهور مكيتان ، وكذلك اعتباره « الانسان » و « البينة » مكيتين ، وهما عند الجمهور مدنيتان ٠

(ب)احداث من السيره :

كان قتادة عارفا بالتاريخ أيضا ، ونجده فى تفسيره دائم الاستعانة بأحداث السيرة النبوية من أجل التفسير ودائم الاستشهاد بها فى المواضع

---

(٣٢٩) الاتقان١/١١ ، ونفس الأثر بنفس السند فى تفسير القرطبى١/١ ٦ - ٦٢ وقد سقط من أثر الاتقان سورة « الأنفال » وذلك لان قتادة كان يعد الانفال والتوبة سورة واحدة٠

التى تتطلبها ، فيفسر الآية بما صاحبها من أحداث فى السيرة النبـــوية ، وعلى سبيل المثال نجده يتحدث عن اليهود وموقفهم من بعثة محمد (ص) عندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا،فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين »(٣٣٠) ، فيقول قتادة : « كانت اليهود تستفتح بمحمد (ص) على كفـــار العرب من قبل وقالوا اللهم ابعث هذا النبى الذى نجده فى التوراة يعذبهم ويقتلهم ، فلما بعث الله محمدا (ص)، فرأوا أنه بعث من غيرهم ، كفروا به حسدا للعرب ، وهـــم يعلمون أنه رسول الله (ص) ويجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة » .

ويحكى عن رسول الله (ص) وعن الأصنام التى كان كفـار قريش يعبدونها فيقول : « بينما رسول الله (ص)يصلى عند المقام اذ نعس فألقى الشيطان على لسانه كلمة فتكلم بها وتعلق بها المشركون عليه ، فقال : « أفرأيتم اللات والعزى ☆ ومناة الثالثة الأخرى »(٣٣١) ، فألقى الشيطان على لسانه ونعس : « وان شفاعتها لترتجى وانهـا لمع الغرانيق العلى ، فحفظها المشركون وأخبرهم الشيطان أن نبى الله (ص) قد قرأها ، فدلت بها ألسنتهم فأنزل الله : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم »(٣٣٢) . فدحر الله الشيطان ولقن نبيه حجته » .

ويتحدث قتادة عن المنافقين وأنهم كانوا « يتناجون بينهم وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم ، فأنزل الله فى ذلك القرآن » : « انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون »(٣٣٣) .

ويحكى قتادة فى تفسيره أيضا كثيرا ممـا كان يدور بين رسول الله (ص) وبين صحابته رضوان الله عليهم ، فنجده مثلا يسوق هذه القصة ليفسربها قوله تعالى : « الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »(٣٣٤) ، فيقول : قتل حارثة بن سراقة يوم بدر ، فقالت أمه : يا رسول الله ان كان ابنى من أهل الجنة لم أبك عليه ، وان كان من أهل النار بالغت فى البكاء ،

---

(٣٣٠) البقرة/٨٩ .
(٣٣١) النجم/١٩ ، ٢٠ .
(٣٣٢) الحج/٥٢ .
(٣٣٣) المجادلة/١٠ .
(٣٣٤) المؤمنون/١١ .

فقال (ص) « يا أم حارثة انها جنتان فى عدن وان ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة » ٠

وعندما يفسر قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين »(٣٣٥) ، يقص علينا ما حدث من الرسول حينئذ مع قومه فيقول : « لما نزلت » وأنذر عشيرتك الأقربين « جمع النبى (ص) بنى هاشم ، فقال يابنى هاشم ، ألا لا ألفينكم تأتونى تحملون الدنيا ويأتى الناس يحملون الآخرة،الا أن اوليائى منكم المتقون ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة » ٠

وهكذا ، يسرد قتادة فى تفسيره أحداثا كثيرة من السيرة النبوية ، ويتخذها عونا له فى التفسير والتوضيح ، فنراه يتحدث عن البراق ، وعن محاورات اليهود والنصارى والكفار لرسول الله (ص) ، وعن المنافقين الذين اتخذوا مسجدا ضرارا ، والذين قالوا ان بيوتنا عورة ، ويتحدث عن غزوات الرسول وعن هجرة المسلمين الى الحبشة وما الى ذلك كثير ٠

ونلاحظ أيضا طريقته فى سرد هذه الاحداث ، فهو مجرد سرد ، ليس تعقيبا ولا تعليقا ولا أى شيىء من دراسة ٠

جـ - عادات العرب وأحوالهم :

وأيضا فقد استعان قتادة فى تفسيره بثقافته الواسعة فى عادات العرب وأحوالهم ، وفسر عددا كبيرا من الآيات عن طريق ذكر عادات العرب وأحوالهم قبل الاسلام وتوضيح علاقتها بالآيات القرآنيه ، ولقد كان قتادة رأسا فى أيام العرب وعاداتها وأحوالها وغزواتها ، وكان الأمويون ما ينفكون يرسلون له بريدا يسأله عن شىء فى التاريخ العربى القديم فيجيبه ٠

وعلى سبيل المثال ، فهو عندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : « وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا(٣٣٦) ، يقول: « ذكر لنا أن هذا الحى من العرب كانوا اذا نزلوا بواد قالوا نعوذ بأعز أهل هذا المكان ، فهو يحكى ما كان من العرب ، وأن هذه الآية بصدد هذا الذى كان منهم ، ثم يحكى رد القرآن على ذلك فيقول : « قال الله : « فزادوهم رهقا » أى اثما ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة » ٠

---

(٣٣٥) الشعراء/٢١٤ ٠ (٣٣٦) الجن/٦ ٠

وعندما يفسر قوله تعالى : « فلما رأى أيديهم لا تصـــل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة »(٣٣٧) ،يقول : « كانت العرب اذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ، ظنـــوا أنه لم يجيء بخير وأنه يحدث نفسه بشر » فهو ايضا يذكر عادة العرب وما كان منها ، ويقرن ذلك بالآية ٠

وعندما يتعرض لتفسير الميسر فى قوله تعالى : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان »(٣٣٨) ، يقول : « كان الرجل فى الجاهلية يقامر عن أهله وماله ، فيقعد حريبا سليبا ينظر الى ماله فى يدى غيره ، فكانت تورث بينهم عداوة وبغضاء ، فنهى الله عن ذلك وقدم فيه ، والله أعلم بالذى يصلح خلقه » ٠

ولعلنا لاحظنا أنه فى هذا التفسير بدأ يعلق بعض التعليق ، فهـو يقرر أن تحريم الميسر كان صلاحا للخلق ، « والله اعلم بالذى يصلح خلقه»٠ ولقد كان قتادة فى أحيان قليلة يعلق باختصـار على ما يحكيه ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى : « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهـه مسودا وهو كظيم »(٣٣٩) ، فيقول : « وهذا صنيع مشركى العرب أخبرهم الله تعالى بخبث صنيعهم ، فأما [العبد] فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه ، ولعمرى مايدرى أنه خير ؟ لرب جارية خير لأهلها من غلام : وانما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه ، وكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته » ٠ فهو فى هـــذا التفسير ، يعلق على ما كان عليه بعض العرب من شر وطغيان ، وينصح ويدعو الى الايمان والصلاح ٠

وعندما يفسر قولـه تعالى : « فيه آيات بينات مقـام ابراهيم ومن دخله كان آمنا »(٣٤٠) ، يقول : « وهذا كان فى الجاهلية ، كان الرجل لو جر كل جريرة على نفسه ثم لجأ الى حرم الله لم يتناول ولم يطلب ،فأما فى الاسلام فانه لا يمنع من حدود الله ، من سرق فيه قطع ، ومن زنى فيـه أقيم عليه الحـــد ، ومن قتل فيه قتل » ٠ فهو هنا أيضا لم يذكر التفسير ويكتفى به فحسب كما يفعل دائمـا ، وانما تعدى ذلـك الى الحديث عما صار عليه الأمر بعد ظهور الاسلام ، ويبدو أن الذى دفعه الى ذلك هنا أن هذا الموضوع قد يكون مرتبطا بالسياسة أو بالفقه ، فقد استبيح الحرم فى

---

(٣٣٧) هود/٧٠ ٠ (٣٣٨) المائدة/٩٠ ٠
(٣٣٩) النحل/٥٨ ٠ (٣٤٠) آل عمران/٩٧ ٠

ذلك العصر على ما رأينا فى « الحرة » وفى ضرب الكعبـــة بالمنجنيق ... تعتبر كلمة قتادة فى ذلك فتوى يصدرها ينبه بها الناس ويلفت نظرهم الى المعنى الصحيح للآية والوجه المستقيم لها .

الا اننا لا نبالغ ونقول انه كان يفعل ذلك كثيرا من التعقيب والتعليق على ما يسرده من أحداث اجتماعية . فما علق عليه قليل جدا ، ولا يخرج عن دائرة ضيقة محدودة من التفسير بالأحداث الاجتماعية أو التاريخية ، حتى ولو كان الأمر محتاجا لتوضيح لغوى أو فقهى ، فمثلا عنـدما فسر « المنخنقة » قال « التى تموت فى خناقها » وهذا تفسير لغوى ، ثم يقول : « كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت أكلوها » ، وهذا تفسير بالأحداث الاجتماعية،ثم لا نجده بعد ذلك يخرج بشىء فقهى.ونفس الحال فى تفسيره للموقوذة ، يقول : « التى توقذ فتموت » ثم يقول : « كان أهـــل الجاهلية يضربونها بالعصا حتى اذا ماتت أكلوها » ، ثم يسكت على ذلك ولا يضيف شيئا ، فهو يدور فى نفس دائرة الضيقة المحدودة ، وعنـــدما يفسر قوله : « وما ذبح على النصب »(٣٤١) ، يقول : « يعنى أنصاب الجاهلية» ولا يتعدى ذلك ويقول بتحريم ما ذبح على النصب فى كل زمان ومكـــان حسب شريعة الاسلام ، وانما يكتفى بأنها « أنصاب الجاهلية » وأن «النصب حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون عندها » ولا يكاد يعقب على ذلك كله الا بعبارة وحيدة هى « فنهى الله عن ذلك » .

(د) تاريخ قديم وديانات ونحل قديمة :

ونلحظ شيئا من ثقافته فى التاريخ القديم يستعين بها فى تفسيره ، كأن يتحدث عن سبأ وسيل العرم ، وأنهم « قوم أعطاهم الله نعمـة وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته ، قال الله : «فأعرضوا» : ترك القول بأمر الله ، « فأرسلنا عليهم سيل العرم »(٣٤٢) ، وأن « وادى سبأ كانت تجتمع اليه مسايل من أودية شتى ، فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالعير والحجارة ، وجعلوا عليه أبوابا ، وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا اليه ، ويسدون عنهم ما لم يعبئوا به أمن مائه ، فلما تركوا أمر الله بعث الله عليهم جرذا ، فنقبه من أسفله ، فاتسع ، حتى غرق الله به حروثهم وخرب به أراضيهم ،

---

(٣٤١) المائدة/٣ .

(٣٤٢) سبأ /١٦ .

عقوبة بأعمالهم ، قال الله : « وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل »(٢٤٤) ٠

وحينما يتعرض لقوله تعالى : « أم قوم تبع »(٢٤٥) : « ذكر لنا أن تبعا كان رجلا من حمير سار بالجيوش حتى حير الحيرة ، ثم أتى سمرقند فهدمهـــا ، وذكر لنا أنه كان اذا كتب ، كتب باسم الذى تسمى وملك برا وبحرا » ٠

وهكذا يتحدث قتادة فى تفسيره عن معلومات فى التاريخ القديم، ويستعين بها فى التفسير ، ويروى عن أحداث أيوب وسليمان وداود ويونس وما صنعوه مع أقوامهم ، وهو فى ذلك لا يجعل من نفسه ناقدا أو دارسا ، وانما يكتفى بمجرد السرد والحكاية ، دونما تعليق أو تعقيب اللهم الا قليلا أو نادرا ٠

وكما استعان قتادة فى تفسيره بالتاريخ القديم ، كذلك تبدو الثقافة الدينية التى تدور حول الديانات والملل والعقائد القديمة ، واضحـــة فى تفسيره ، فنجده يتحدث عن الصابئة وعن المجوس وعن الوثنيين ، كمـا يتحدث عن حنفاء العرب ، ويذكر بعض الأشياء من التوراة والانجيل ٠

ففى تفسير قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا »(٢٤٦ ، يقول : « الصـابئون : قوم يعبدون الملائكة ويصلون الى القبلة ويقرءون الزبور ، والمجوس : عبـــدة الشمس والقمر والنيران ، وأما الذين أشركوا فهم عبدة الأوثان » ٠

ويتحـدث عن أصنام الحرب فى الجاهلية ، فيقول فى تفسير قوله تعالى : « أرأيتم اللات والعزى ٠ ومناة الثالثة الأخرى »(٢٤٧):« أما اللات فكان بالطائف ، وأما العزى فكانت ببطن مكة ، وأما مناة فكانت بقديد ، لهة كانوا يعبدونها » وفى تفسير قوله تعالى : « والرجز فاهجر »(٢٤٨)، يقول : « هما صنمان كانا عنـــد البيت « اساف » و « نائلة » ، يمسح وجوههما من أتى عليهما » ، وفى تفسير قوله تعالى : « وقالوا لا تذرن

---

(٢٤٤) سبأ /١٦ ٠
(٢٤٥) الدخان ٣٧ ٠
(٢٤٦) الحج/١٧ ٠
(٢٤٧) النجم/١٩ - ٢٠ ٠
(٢٤٨) المدثر/٥ ٠

آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا »(٣٤٩) ، فيقول : « كان « ود » لهذا الحى من كلب بدومة الجندول ، وكانت « سواع » لهذيل برياط ، وكان « يغوث » لبنى غطيف من مراد بالجرف من سئاف ، وكان « يعوق » لهمدان ببلخع ، وكان « نسر » لدى كلاع من حمير » .

وها هو يتحدث عن الحنفاء من العرب فى تفسير قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون »(٣٥٠) ، فيقول : « أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق يأخذون بها وينتهون اليها حيث بعث الله محمدا (ص) فآمنوا به وصدقوا به فأعطاهم الله أجرهم مرتين : بصبرهم على الكتاب الأول ، واتباعهم محمدا (ص) وصبرهم على ذلك » ، وذكر أن منهم سلمان وعبد الله بن سلام » .

وفى تفسيره لقوله تعالى : ولو كنت فظا غليظ القلب لأنفضوا من حولك »(٣٥١) ، يقول : ذكر لنا أن نعت محمد (ص) فى التوراة : « وليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب فى الأسواق ولا يجزى السيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح » .

وفى تفسيره لقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : «ولم يجعلنى جبارا شقيا »(٣٥٢) ، يقول : « ذكرلنا عن عيسى [عليه السلام] كان يقول : سلونى فان قلبى لين وانى صغير فى نفسى » .

ويتحدث عن النصرانية ومذاهبها حين يتعرض لتفسير قوله تعالى : « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون(٣٥٣) ، « فيقول : « ذكرلنا أنه لما رفع ابن مريم انتخبت بنو اسرائيل أربعة من فقهائهم فقالوا للأول : ماتقول فى عيسى ؟ قال : هو الله ، هبط الى الأرض ، فخلق ما خلق وأحيا ما أحيا ، ثم صعد الى السماء .

فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت « اليعقوبية » من النصارى .
وقال الثلاثة الآخرون : نشهد انك لكاذب .
فقالوا للثانى : ما تقول فى عيسى ؟ فقال : هو ابن الله .

---

(٣٤٩) نوح/٢٣ .
(٣٥٠) القصص/٥٢ .
(٣٥١) آل عمران/١٥٩ .
(٣٥٢) مريم/٣٢ .
(٣٥٣) مريم /٣٤ .

فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت « النسطورية » من النصارى. وقال الاثنان الاخران : نشهد انك لكاذب .

فقالوا للثالث : ما تقول فى عيسى؟ قال: هو اله ، وأمه اله ، والله اله. فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت « الاسرائيلية »(٣٥٤) من النصارى .

فقال الرابع : أشهد انك لكاذب . ولكنه عبد الله ورسوله ، وهو كلمة الله وروحه ، فاختصم القول ... فاقتتل القوم » .

وهكذا يستعين قتادة بثقافته الواسعة بالأديان القديمة ويأتى بها فى تفسيره ، ورغم أنه لا يعلق من قريب أو بعيد على ما يأتى به ، الا أننا نلحظ نظرته الثاقبة العميقة للأمور الدينية . ومبادىء التوحيد والأصول. فهو يقرر جوهر الأديان الأصيل عندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : أنه لا اله الا أنا فاعبدون »(٣٥٥) ، يقول : « به أرسلت الرسل بالاخلاص والتوحيد لا يقبل منهم حتى يقولوه ويقروا به » . فهو اذن يقرر أن العقيدة الاساسية لكل ما جاء به الرسل هى التوحيد وهى الاخلاص ، المعنى الذى نادى به القرآن الكريم فى أكثر من آية .

وهو يعترف بحقيقة اختلاف الشرائع ، ولكنه يؤكد أن الجوهر واحد وأن الأساس العقيدى واحد لا يتغير ، فيقول فى تفسير قوله تعالى : « لكن جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »(٣٥٦) : « السنن مختلفة : للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة ، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ، بلاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، والدين الواحد الذى لا يقبل غيره : التوحيد والأخلاص لله الذى جاءت به الرسل » . ويكرر هذا المعنى فى تفسير قوله تعالى : « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »(٣٥٧) ، فيقول : « أى دينكم دين واحد وربكم واحد والشريعة مختلفة » ، ويكرره كذلك فى تفسير قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون »(٣٥٨) ، فيقول : «والشرائع تختلف ، فى التوراة شريعة ، وفى الانجيل شريعة ، وفى القرآن شريعة ، حلال وحرام ، فهذا كله فى الاخلاص لله وتوحيد الله » .

---

(٣٥٤) أو « الملكانية » : انظر الملل والنحل ٢٢٢/١ .

(٣٥٥) الانبياء/٢٥ .

(٣٥٦) المائدة/٤٨ .

(٣٥٧) الانبياء/٩٢ .

(٣٥٨) الانبياء/٢٥ .

وهكذا يرفع شعار الاخلاص لله وتوحيد الله ، وينادى بهذا المبدأ ، ويقرره جوهرا أصيلا وعميقا لأديان الله عزوجل ٠

هـ - اسرائيليات :

ولقد سقطت فى تفسير قتادة بعض الاسرائيليات كما سقطت فى غيره من التفاسير الاخرى ٠

فمثلا يقول عن بلقيس : بلغنى أنها امرأة يقال لها « بلقيس » - يقول راويته : **أحسبه قال ابنة شراحيل - أحد أبويها من الجن ، مؤخر قدميها كحافر الدابة « ويقول » : « كانت صاحبة سبأ اذا رقدت غلقت الأبواب** وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ، فلما غلقت الأبواب وأوت الى فراشها ، جاءها الهدهد حتى دخل من كوة بيتها ، فقذف الصحيفة على **بطنها بين فخذيها ، « ويتحدث عن هديتها لسليمان فيقول : فبعث اليهم** بلبنة من ذهب فى حرير وديباج فبلغ ذلك سليمان فأمر بلبنة من ذهب فصنعت ثم قذفت تحت أرجل الدواب على طريقهم تبول عليها وتروث ، فلما جاء رسلها واللبنة تحت أرجل الدواب ، صغر فى أعينهم الذى جاءوا به »، ويتحدث عن عرشها فيقول : « كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ » ٠

وكل هذا اسرائيليات ، فالاسلوب الاسرائيلى واضح جدا وروح الرواية الاسرائيلية لا تخفى هنا على اى مشتغل بهذه الدراسات ، ففيها الشطح والاغراب والمغالاة ، وتهويل الحقير وتحقير العظيم ، والتعالى بالانبياء اليهود ، وعبادة الذهب والاطناب فى ترديد اسماء الجواهر ، والمفارقات العجيبة والخضوع للتهويمات والأساطير وما الى ذلك ٠

والتفاصيل التى لا سبيل الى التثبت منها هى سمة أصيلة للاسرائيليات، ومن ذلك النوع ما يرويه قتادة فى تفسير قصة **قابيل وهابيل ، فيقول :** « ذكر لنا أن هابيل كان صاحب ماشية ، فعمد الى خير ماشية فتقرب بها ، **فنزلت عليه النار فأكلته ، وكان القربان اذا تقبل منهم نزلت عليه نار** فأكلته واذا رد عليهم أكلته الطير والسباع ، وأما قابيل كان صاحب زرع فعمد الى أردأ زرعه فتقرب به فلم تنزل عليه النار فحسد أخاه عند ذلك » ٠ فكيف السبيل الى التوثق من أن هابيل كان راعيا وأن قابيل كان زارعا **وأن الاله كان النار وأن سبب التحاسد قبول القرابين ٠٠٠**

ومن تلك **التفاصيل الغريبة والمسببات العجيبة** أيضا ، ما يرويه قتادة

فى تفسير قوله تعالى : « فأتبعوهم مشرقين(٣٥٩) ، « يقول » : خرج أصحاب موسى ليلا ، فكسف القمر ليلا وأظلمت الأرض ، فقال أصحابه : ان يوسف كان أخبرنا أنا سننجى من فرعون وأخذ علينـــا العهد لنخرجن بعظـــامه معنا ، فخرج موسى من ليلته يسأل عن قبره فوجد عجوزا سألها على قبره فأخرجته له بحكمها ، فكان حكمها أن قالت له احملنى فأخرجنى معك ، فجعل عظام يوسف فى كساء ثم حمل العجوز على كساء فجعله على رقبته، وخيل فرعون فى اعنتها » .

وكذلك يفسر قوله تعالى : « أن خير من استأجرت القوى الامين (٣٦٠). برواية اسرائيلية تقول » : ذكرلنـا أن الذى رأت من قوته انـه لم تلبث ماشيتها حتى رواها ، وأن الأمانة التى رأت منه أنهـــا حين جاءت تدعوه قال لها كونى ورائى ، وكره أن يستدبرها ، فذلك ما رأت من قوته وأمانته». وعندما يفسر قوله تعالى : « قلنا ياناركونى بردا وسلاما على ابراهيم »(٣٦١)، يقول : « لم تأت يومئذ دابة الا أطفأت عنه النار الا الوزغ »فهو بهذه الرواية الاسرائيلية يود لو يقول مباشرة ان اكرام الله لابراهيم عليه السلام جعله يسخر له كل الدواب لاطفاء نار الكفار ، ولم تشد عن هذه القاعدة الا الوزغ، وهو أسلوب اسرائيلى فى الاستثناءات الغريبة .

والاسرائيليات تولع **بالدقائق الخبيئة العجيبة** ، ومن هذا النوع ما يأتى به قتادة فى تفسير قوله تعالى : « فى البقعة المباركة من الشجرة »(٣٦٢)، فيقول : « الشجرة « عوسج » ، عصـا موسى من العوسج ، والشجرة من العوسج » ، وكذلك ما يأتى به فى تفسير قوله تعالى : « الا ما حرم اسرائيل نفسه »(٣٦٣) ، فيقول : «اشتكى اسرائيل عرق النسا فقال ان الله شفانى لأحرمن العروق فحرمها » .

ومن الاسرائيليات أيضا تحديد أسماء الأماكن وأسماء الأعلام ، وهى أماكن لم تسم فى القرآن الكريم لحكم وأمور ، وهذه المسميات التى أتى بها قتادة فى تفسيره سمة مميزة من سمات الاسرائيليات التى ما تنى عن التقصى والتلصص حتى لو كان هذا التقصى خرافيا والتحديد خياليا .

---

(٣٥٩) الشعراء/٦٠ .
(٣٦٠) القصص/٢٦ .
(٣٦١) الانبياء/٦٩ .
(٣٦٢) القصص/٣٠ .
(٣٦٣) آل عمران/٩٣ .

ومن هذه **التحديدات المكانية** التى وردت فى تفسير قتادة أن ابراهيم عليه السلام هاجر من « كوثى » بالعراق ، وأن الربوة التى هى ذات قرار ومعين هى بيت المقـــدس ، وأن « الرس » قرية من قرى اليمامة ، وأن واد النمل واد بأرض الشام ، وأن البحر الذى غرق فيه فرعون ومن معه هو بحر « اساف » ، وأن قرية المرسلين فى سورة يس هى « انطاكية » ، وأن حوت يونس جرى فى بحر الروم ثم النيل ثم فارس ثم فى دجلة ، وأن مجمع البحرين بحر فارس والروم ، وأن الجب الذى ألقى فيه يوسف صغيرا هو بئر فى بيت المقدس ، وأن سفينة نوح رست « بنا فردى » ، وأن القرية التى كانت حاضرة البحر هى « أيلة » ، وأن هودا بعث من أرض « الشحر » ، ولوطا من « سدوم » ، وأرسل يونس الى أهل « نينوى » ، وأن مهبط آدم بأرض الهند ... وهكذا نجد كثيرا من المسميات المكانية المحددة والتى قالت بها الاسرائيليات والتى قد يكون منها الصحيح ومنها الخطأ ، والمحك على التاريخ والتمحيص والعلم .

ومن تحديد أسماء الأعلام أن فتى موسى هو « يوشع بن نون » ، وأن الذى عنده علم من الكتاب هو « بليخا » ، وأن اسم حوت يونس « نجم » ، وأن قارون هو « المنور » ، وأن « روبيل » هو الذى منع أخوه يوسف من قتله وهو صغير ، وأن « بنيامين » هو أخو يوسف شقيقه .. وغير ذلك .

ومن سمات الاسرائيليات أيضـا والتى نجدهـا فى تفسير قتادة : **تحديد العـدد** ، فالاسرائيليات مغرمـة بتحديد أعداد كل شيىء من ناس وسنين وأيام وأعمار ومسافـات وأطوال .. وما الى ذلـك ، ومن هذه التحديدات العددية التى جاءت فى تفسير قتادة : أن من خرجوا مع قارون فى زينته كانوا على أربعة آلاف دابة ، وأن عدد أهل مشورة بلقيس كانوا ثلثمائة واثنى عشر كل رجل منهم على عشرة آلاف ، وأن عدد بنى اسرائيل الذين قطع بهم موسى البحر كانوا ستمائة ألف مقاتل وعشرين ألفا فصاعدا ، وتبعهم فرعون على ألف ألف حصان ومائتى ألف حصان ، وأن آدم كان رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض وكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا ، وأن ما بين الصخرة ببيت المقدس وبين السماء ثمانية عشر ميلا ، وأنه كان بين آدم ونوح ألف سنة ، وبين نوح وابراهيم ألف سنة ، وبين ابراهيم وموسى ألف سنة ، وبين موسى وعيسى أربعمائة سنة ، وبين عيسى ومحمد ستمائة سنة ، وأنه شيع جنازة هرون أربعون ألفا من بنى اسرائيل كل منهم يسمى هرون ، وأن طول سفينة نوح ثلثمائة ذراع وعرضهـا خمسون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا ، وبابها فى عرضهـا ، وأنهـا استقلت بهم فى عشر خلون من رجب وكانت فى الماء خمسين ومائة

يوم ، وانهم أهبطوا الى الأرض فى عشر ليال خلون من المحرم ، فقال نوح لمن معه : من كان منكم اليوم صائما فليتم صومه ، ومن كان مفطـــرا فليصم ٠٠!!

واذن فلا يمكن أن ننف عن قتادة أنه كان يورد الاسرائيليـــات فى تفسيره ، فهى واضحة وكثيرة ، ولكنها تتركز بالذات عنـد الآيات التى تعرض لأهل الكتاب وتذاكر أخبارهم وتتحدث عن أنبيائهم ، وكذلك الآيات التى تحكى قصص الانبياء الآخرين مثل نوح ولوط وهود ، وأيضا بعض الموضوعات التى كانت تحلو حكاياتها عنـــد أهل ذلك العصر مثل قصـــة الخليقة الأولى وآدم وحواء والشيطان والحية ، وقصة هابيل وقابيـل ، وقصة هاروت وماروت ويأجوج ومأجوج وذى القرنين وسيـــدنا الخضر وأصحاب الكهف وحوت يونس ٠٠٠ وما الى ذلك ٠

واذا كان قتادة يسبق اسرائيليات تفسيره بقوله « ذكر لنا » أو « كان يقال لنا » وما شابه ذلك من العبارات الاحترازية ، فهو بلا شك أيضـــا مسئول عما يورده ٠

٩ ـ التفسير الوعظى والأخلاقى :

وقتادة فى تفسيره يبدو لنا رجلا واعظا محسنا فى وعظه ، ما ينى يدعو الى الأخلاق الحميدة والى المعاملة الكريمة والى التعاون والترابـط والتراحم والتكافل ، ونجده فى كثير من جوانب تفسيره لا يكاد يترك مجالا للوعظ الا وعظ ، ولا يكاد يجـــد مناسبة للدعوة الا دعا ، فهو داعية للهداية ومصلح اجتماعى كبير ٠

فها هو يحذر الناس من الاغترار بالنعمة وركوب الغرور فسقا وضلالة وبعدا عن جنب الله ، حتى لا يبغتهم أمر الله ، فيقول فى تفسير قوله تعالى : « حتى تأتيهم الساعة بغتة»(٣٦٤) : بغت القوم أمر الله ، وما أخذ الله قوما قط الا عنـــد سكرتهم وغرتهم ونعمتهم ، فلا تغتروا بالله ، أنه لا يغتر بالله الا القوم الفاسقون » ٠

ويحذر من حديث الباطل ويحبب فى حديث الحق ، ففى تفسيره لقوله تعالى : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » (٣٦٥) ، يقول : « بحسب

---

(٣٦٤) الحج/٥٥ ٠ (٣٦٥) لقمان/٦ ٠

المرء من الضـــلالة أن يختار حديث الباطل على حـديث الحق ، وما يضر على ما ينفـع » ، فـ « من تعـــدى الحلال أصابه الحرام » كمـــا يقول فى تفسير قوله تعالى « « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون »(٣٦٦) ٠

ولا بد أن يعرف الانسان أن الله لا يترك قط ذرة من عمل عامل، فيقول فى تفسير قوله تعـــالى : « ونكتب ما قدمـــوا وآثارهـــم » (٣٦٧) : « لو كان [الله] مغفلا شيئا من شأنك يا ابن آدم ، أغفل ما تعفى الرياح من هذه الآثار ، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله ، حتى أحصى هذا الأثر فيما هو فى طاعة الله أو معصيته ، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره فى طاعة الله فليفعل ، فالله لا يغفل من عمل ابن آدم شيئا ، حتى ولو كان هذا الشيء أثر خطوة من خطواته على التراب ، فليبادر النـــاس الى أن يكون احصاؤهم فى الخير والثواب لا فى الشر والمعصية ٠

فما أقساه من يوم ، يوم القيامة ، يقول قتـــادة :« ليس شيء أبغض الى الانسان يوم القيامة ، من أن يرى من يعرفه ، مخافة أن يدور له عليـــه شيء ، وقرأ : « يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ٠ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه »(٣٦٨) ٠

ولا يحسبن أحد من الناس أنه يفر من حساب الله ، ففى قوله تعالى: « يوم تشهد عليهم ألسنتهم»(٣٦٩) ،يقولقتادة:«ابن آدم،والله ان عليك لشهودا غير متهمة فى بدنك ، فراقبهم ، واتق الله فى سرك وعلانيتك فانه لا يخفى عليه خافية ، الظلمة عنده ضوء ، السر عنده علانية ، فمن استطاع ان يموت وهو بالله حسن الظن ، فليفعل ، ولا قوة الا بالله » ، وحتى لا يدركه اليأس والعذاب عند الموت ، يقول قتادة مفسرا قوله تعالى « حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون »(٣٧٠) ، « والله ما تمنى أن يرجع الى أهل ولا الى عشرة ، ولكن تمنى أن يرجـــع فيعمل بطاعـــة الله ، فانظروا أمنية الكافر المفرط ، فاعملوا بها ولا قوة الا بالله ، واذن ، وكما يقول قتادة وهو يفسر قوله تعالى : « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها »«(٣٧١) : « اياكم والاعراض عن ذكر الله فان من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرة وأعوز أشد العوز وعظم من أعظم الذنوب » ٠

ولا بد أن يكون المؤمن متسامحا رحيما حتى مع من ظلمه ، يقول قتادة:

---

(٣٦٦) المؤمنون/٧ ٠
(٣٦٧) يس/١٢ ٠
(٣٦٨) عبس/٣٤ ـ ٣٧ ٠
(٣٦٩) النور/٢٤ ٠
(٣٧٠) المؤمنون/٩٩ ٠
(٣٧١) الكهف/٥٧ ٠

« نعمت والله الجرعة تتجرعها وأنت مظلوم ، فمن استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل ولا قوة الا بالله » وذلك فى تفسيره لقوله تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن السيئة(٢٧٢) ، ويقول أيضا فى تفسير قوله تعالى: « ولمن انتصر بعد ظلمه »(٢٧٣) : « فأما ان ظلمك رجل فلا تظلمه وان فجربك فلا تفجر به وان خانك فلا تخنه ، فان المؤمن هو الموفى المؤدى ، وان الفاجر هو الخائن الغادر » فهو يدعو الى المسالمة والى التسامح والحلم والتصبر، وينفر من الفجور والخيانة والغدر ، كما يدعو الى الصداقة الحقة والمؤاخاة ، يقول فى تفسير قوله تعالى : فما لنا من شافعين • ولا صديق حميم(٢٧٤) » : « يعلمون والله أن الصديق اذا كان صالحا نفع وأن الحميم اذا كان صالحا شفع » •

وها هو يبعد المؤمن عن اليهود والمسيحيين ، الذين قد يضلونه ويزيغونه عن دينه • فيقول فى تفسير قوله تعالى « ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب »(٢٧٥) : : قد تقدم الله اليكم فيهم كما تسمعون وحذركم وأنبأكم بضلالتكم فلا تأمنوهم على دينكم ولا تنتصحوهم على أنفسكم فانهم الاعداء الحسد الضلال ، كيف تأتمنون قوما كفروا بكتابهم وقتلوا رسلهم وتحيروا فى دينهم وعجزوا عن أنفسهم ؟ أولئك والله هم أهل التهمة والعداوة » •

وهكذا يمضى قتادة فى تفسيره الوعظى والأخلاقى ، فيحذر من الشيطان ومن المعصية فيقول فى تفسير قوله تعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان »(٢٧٦) : « كل معصية فهى من خطوات الشيطان » ، ويدعو الى الخلال الكريمة والسجايا العظيمة ، فيقول عن العدل وهو يفسر قوله تعالى: « ألا تطغوا فى الميزان » (٢٧٧) : « اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك، وأوف كما تحب أن يوفى لك،فان بالعدل صلاح الناس»،ويتحدث عن العلم وهو يفسر قوله تعالى : «والذين أوتوا العلم درجات »(٢٧٨) : «ان بالعلم لأهله فضلا ، وان له على أهله حقا ، ولعمرى للحق عليك أيها العالم فضل ، والله معط كل ذى فضل فضله » •

وليس قتادة فى مواعظه هذه بالجاف ولا بالممل ، فهو لا يسوق مواعظه وارشاداته فى قوالب جافة صامتة ، **وانما يمزجها بالحياة**

---

(٢٧٢) المؤمنون/٩٦ •
(٢٧٣) الشورى/٤١ •
(٢٧٤) الشعراء/١٠٠ - ١٠١ •
(٢٧٥) آل عمران/١٠٠ •
(٢٧٦) البقرة/١٦٨ •
(٢٧٧) الرحمن/٨ •
(٢٧٨) المجادلة/١١ •

وبأحداث الحياة ، وبطريقة جميلة محببة لا تمل ولا تسئم ، فهو يتحدث عن الخشوع فى قوله تعالى : « الذين هم فى صلاتهم خاشعون(٣٧٩) » ، فيقول : « الخشوع فى القلب هو الخوف وغض البصر فى الصلاة » ، ثم لا يقصر حديثه الوعظى على المعانى الدينية وحدها فهو يخرج من الدائرة الدينية ويتقدم بمواعظه فى شئون الحياة كما تقدم بها فى الخضوع والخشوع الدينى ، فيتحدث عن التجارة فى تفسيره لقوله تعالى : « الا أن تكون تجارة عن تراض منكم »(٣٨٠) فيقول : « والتجارة رزق من الله وحلال من حلال الله لمن طلبها بصدقها وبرها • وقد كنا نحدث أن التاجر الأمين الصدوق مع السبعة فى ظل العرش يوم القيامة » ، وينهى عن القتل ، وكان القتل ظاهرة اجتماعية خطيرة سائدة فى عصره المضطرب ، فيقول فى تفسير قوله تعالى : « فكأنما قتل الناس جميعا »(٣٨١) : هذا تعظيم لتعاطى القتل، عظم والله وزرها عظم والله أجرها ، ويتحدث عن العمل والقول فيقرن بينهما ويربط بين النظرية فى السلوك والتطبيق ، بين المبدأ والعمل به ، فيقول فى تفسيره لقوله تعالى : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه »(٣٨٢) : « لا يقبل الله قولا الا بعمل من قال ، وأحسن العمل قبل الله منه » ، فمواعظه اذن مرتبطة بالحياة ، وليست مثل الأراجيز التى ارتجزها فيما بعد الزهاد من أمثال أبى العتاهية ، ولعلنا لاحظنا أنه دائما ما يوجه الكلام فى مواعظه بصيغة الخطاب ، وقد تحدثنا عن هذه الظاهرة البلاغية عنده فيما سبق ، وأنها تقيم نوعا من الصلة الحية النابضة بين من يعظ وبين من يوعظ ، **وبين القلب والقلب والفكر والفكر والوجدان والوجدان** ، كما لعلنا أيضا لاحظنا كذلك أنه ينادى يا ابن آدم ، فهى اذن دعوة اجتماعية للاصلاح ، **بشرية سامية وانسانية كلية** •

وكذلك كان قتادة يدخل الطرافة فى مواعظه بادخال القصص وشرح الأمثال ، لتكون عونا له فى درسه الوعظى وفى تفسيره الوعظى ، ففى تفسيره لقوله تعالى : « ولا تخزنى يوم يبعثون » (٣٨٣) ، يسوق لنا قصة رواها الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف توضح هذا المعنى وتعظ الناس وتحثهم على العمل الصالح والبعد عن موارد الهلاك حتى لا يتعرضوا لمثل ما تعرض له

---

(٣٧٩) المؤمنون/٢ •
(٣٨٠) النساء/٢٩ •
(٣٨١) المائدة/٣٢ •
(٣٨٢) فاطر/١٠ •
(٣٨٣) الشعراء/٨٧ •

هذا الضبع فى الحديث الشريف الذى يقول : « ذكر لنا أن نبى الله (ص) قال : « ليجيئن رجل يوم القيامة آخذا بيد أب له مشرك حتى يقطعه النار ويرجو أن يدخله الجنة ، فيناديه مناد انه لا يدخل الجنة مشرك ، فيقول رب أبى ، ووعدت أن لا تخزينى ، فما يزال متشبثا به حتى يحوله الله فى صورة سيئة وريح نتنة فى صورة ضبع ، فاذا رآه كذلك تبرأ منه وقال لست بأبى » • وفى تفسيره لقوله تعالى : « وهل نجازى الا الكفور »(٣٨٤) : « ان الله تعالى اذا أراد بعبده كرامة تقبل حسناته ، واذا أراد بعبده هوانا أمسك عنه ذنوبه حتى يوافى به يوم القيامة • وذكر لنا أن رجلا بينما هو فى طريق من طرق المدينة اذ مرت به امرأة فأتبعها بصره حتى أتى على حائط فشج وجهه ، فأتى نبى الله (ص) ووجهه يسيل دما ، فقال : يا نبى الله ، فعلت كذا وكذا ، فقال له نبى الله (ص) :«اذا أراد الله بعبد كرامة عجل عقوبة ذنبه فى الدنيا واذا أراد الله بعبد هوانا أمسك عليه ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة كأنه عير أبتر » •

ومنها هذه القصة التى يحكيها وهو يفسر قوله تعالى « وما لى لا أعبد الذى فطرنى »(٣٨٥) ، يقول : « هذا رجل دعا قومه الى الله وأبدى لهم النصحية فقتلوه على ذلك . وذكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة ، وهو يقول : اللهم اهد قومى ، اللهم اهد قومى ، اللهم اهد قومى حتى أقعصوه وهو كذلك » • وهذه القصة التى يسوقها وهو يفسر قوله تعالى: « سيروا فيها ليالى وأياما آمنين »(٣٨٦) ، يقول:«لا يخافون ظلما ولاجوعا، وانما يغدون فيقيلون ، ويروحون فيأتون ، [كانوا] أهل قرية جنة ونهر، حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها وتمتهن بيدها فيمتلىء مكتلها من الثمر قبل أن ترجع الى أهلها من غير أن تحترف شيئا ، وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادا ولا سقاء مما بسط القوم » •

فهو يسوق لنا هاتين القصتين ليعظنا بهما الأولى تبين مدى استماتة المؤمنين فى الدفاع عن دينهم ، والثانية تبين لنا مدى النعمة التى ينعم بها الله على عباده •

ويحكى لنا فى تفسيره لقوله تعالى : « ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها »(٣٨٧) ـ قصة وعظية ، يقول : « خرج رجل من القرية الظالمة الى القرية الصالحة فأدركه الموت فى الطريق ، فنأى بصدره الى القرية

---

(٣٨٤) سبأ/١٧ •
(٣٨٥) يس/٢٢ •
(٣٨٦) سبأ /١٨ •
(٣٨٧) النساء/٧٥ •

الصالحة ، فاحتجت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمروا أن يقدروا أقرب القريتين اليه ، فوجدوه أقرب الى القرية الصالحة بشبر ، وقال بعضهم قرب الله القرية الصالحة فتلقته ملائكة الرحمة » ..

وهكذا يسوق لنا قتادة **القصص النبوى كأداة مساعدة له فى مواعظه**، وكذلك كان **يشرح الأمثال القرآنية ويستعين بها كذلك فى درسه الوعظى** ويدخل بها شيئا من الترويح ، حتى لا يثقل الأمر ، وحتى يجذب النفوس ويحببها الى هذا الدرس الوعظى ، فنراه يشرح المثل فى قوله تعالى : « كسراب بقيعة »(٣٨٨) ، فيقول : « هو مثل ضربه الله لعمل الكافر ، يقول يحسب أنه فى شىء كما يحسب هذا السراب ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، وكذلك الكافر اذا مات لم يجد عمله شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه » ، ويشرح المثل فى قوله تعالى : « أو كظلمات فى بحر لجى»(٣٨٩)، يقول : « اللجى : العميق القعر ، هذا مثل عمل الكافر فى ضلالات ليس له مخرج ولا منفذ ، أعمى لا يبصر » ويشرح قوله تعالى : « وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت »(٣٩٠) ، فيقول : « هـذا مثل ضربه الله للمشرك مثل الهه الذى يدعوه من دون الله واهن ضعيف لا ينفعه » ، وقوله تعالى : « فانك لا تسمع الموتى »(٣٩١) ، يقول : « هذا مثل ضربه الله للكافر . كما لا يسمع الميت كذلك لا يسمع الكافر ولا ينتفع به ، ولا يسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين لو أن أصما ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يستمع والله أعلم » ... وهكذا .

ولا يقتصر وعظ قتادة عند حد القصص والأمثال ، بل انه يعمل على شرح **الآداب الاسلامية** فى هذا الصدد حتى **يمزج وعظه بالتربية والأدب والأخلاق** ، فيقول فى تفسيره لقوله تعالى : « وقل رب أنزلنى منزلا مباركا »(٣٩٢) ، « يعلمكم كيف تقولون اذا ركبتم وكيف تقولون اذا نزلتم ، أما عند الركوب : فسبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين : وانا الى ربنا لمنقلبون وبسم الله مجراها ومرساها ، وان ربى لغفور رحيم » ، وعند النزول : « رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » ، وفى تفسيره لقوله تعالى : « فسلموا على أنفسكم »(٣٩٣) ، يقول : « بيتك اذا دخلته فقل سلام عليكم ، اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك : واذا دخلت بيتا لا أحد

---

(٣٨٨) النور/ ٣٩ .
(٣٨٩) النور/ ٤٠
(٣٩٠) العنكبوت /٤١ .
(٣٩١) الروم /٥٢ .
(٣٩٢) المؤمنون /٢٩ .
(٣٩٣) النور /٦١ .

فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فانه كان يؤمن بذلك ، وحدثنا أن الملائكة ترد عليه » ، وفى تفسيره لقوله تعالى : « حتى تستأنسوا »(٢٩٤) ، يقول : « هو الاستئذان ، وكان يقال الاستئذان ثلاث : فمن لم يؤذن له فيهن فليرجع : أما الأولى فيسمع الحى ، وأما الثانية فياخذوا حذرهم ، وأما الثالثة فان شاءوا أذنوا وان شاءوا ردوا .... وهكذا : لا يهمل الأداب الاسلامية فى تفسيره الوعظى ٠

وهكذا كان التفسير الوعظى عند قتادة يقوم على أساس من التوجيه والارشاد والنصح ، ليس فى قوالب جامدة صماء ، وانما فى اسلوب مؤثر بسيط جميل ، ويقص القصص ويشرح الأمثال ، ويقون النظر بالعمل وبالتربية ، ولا يفصل بين النصح والوعظ وبين بقية شئون الحياة ٠

وهكذا ، كان قتادة فى تفسيره الوعظى يرشد الناس وينصحهم ويعظهم « ان الله يعلم القلب النقى ويسمع الصوت الخفى » كما يقول فى تفسيره لقوله تعالى : « اذ نادى ربه نداء خفيا »(٢٩٥) . وانه « ما هذه الأبصار التى فى الرءوس ، فانها جعلها منفعة وبلغة ، وأما البصر النافع فهو فى القلب » ، وهو يفسر قوله تعالى : « فانها لا تعمى الأبصار»(٢٩٦) ، ويقول فى تفسير قوله تعالى : « آلله خير أم ما يشركون »(٢٩٧) ، يقول : « بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم » ، وفى تفسير قوله تعالى : « أفهم الغالبون »(٢٩٨) ، يقول : « ليسوا بغالبين ولكن رسول الله (ص) هو الغالب » ، وفى تفسير قوله تعالى : « وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون »(٢٩٩) يقول : « فوجدوا الله أعزمنه » وهكذا **يلقى دروسه الوعظية فى أسلوب بسيط جميل موجز** ، يقول قتادة : « اعلموا أن السبيل سبيل واحد جماعه الهدى ومصيره الجنة ، وأن ابليس اشترى سبلا متفرقة جماعها الضلالة ومصيرها النار »(٤٠٠) ، والله « لا يستغنى عنه أهل السموات ولا أهل الأرض يحيى حيا ويميت ميتا ويربى صغيرا ويذل كبيرا ويفك أسيرا ويغنى فقيرا . وهو مسأل حاجات الصالحين ومنتهى شكواهم وصريح الاخبار »(٤٠١) ٠

---

(٢٩٤) النور /٢٧ ٠
(٢٩٥) مريم /٣ ٠
(٢٩٦) الحج/٤٦ ٠
(٢٩٧) النمل/٥٩ ٠
(٢٩٨) الانبياء/٤٤ ٠
(٢٩٩) الشعراء/٤٤
(٤٠٠) انظر تفسيره للاية ١٥٣/الانعام ٠
(٤٠١) انظر تفسيره للاية ٢٩/الرحمن ٠

١٠ ـ شيىء من النظرات العقلية الخاصة :

رغم أن قتادة مفسر سلفى ، وأن تفسيره يقوم على أساس من النقل أو التفهم فى الاطار التقليدى ، الا أننا لا يمكن أن ننفى النظرة الشخصية التى لابد من وجودها عند كل انسان ، ولا يمكننا أن نجحد أثر الذات فى أى عمل تقوم به ، ولقد صادفت فى تفسير قتادة بعض النظرات الخاصة ، **التى تنبع من فكره الشخصى** والتى تعكس لنا رأية الخاص فى بعض الأمور **بيد أنها قليلة ولا نستطيع أن نعتبرها أساسا للتفسير عند قتادة** ، بل هى بعض النظرات القليلة ، التى جاءت نتيجة طبيعية للبصمة الذاتية التى لا بد من وجودها عند أى عمل لأى شخص ٠

فهو يفسر مثلا قوله تعالى « الصور»(٤٠٢) بأنه الخلق وبمعنى الصورة، وأن النفخ فى الصور هو نفخ فى صور الموتى والأرواح ، وهو تفسير بعيد ، فقد أجمعت آراء المفسرين على أن الصور هو الناقور : أى قرن ينفخ فيه ، كما ورد عن الرسول (ص) حديث شريف يدل على أنه قرن ، وفى هذا الحديث يقول (ص) : « ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا(٤٠٣) ، وأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس »(٤٠٤) ٠ فهذا الحديث الشريف اذن يدل دلالة واضحه على أن معنى الصور هو الناقور كما جاء أيضا فى القرآن(٤٠٥) وهو القرن ٠

ومن ناحية أخرى فلو كان المقصود بالصور هو الصورة ، لقالت الآية « ثم نفخ **فيها** أخرى » ولكنها قالت : « ثم نفخ **فيه** أخرى » ٠

وعلى كل حال ، فان هذا التفسير من قتادة انما يعبر عن وجهة نظر خاصة به ، وهو الأمر الذى كنا لا نحسب وقوعه فى التفاسير السلفية وخاصة المبكرة منها مثل هذا التفسير ٠

ومن هذه النظرات الخاصة أيضا تفسيره لقوله تعالى : « تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى(٤٠٦) « قال قتادة : » تخرج الحى

---

(٤٠٢) النمل/٨٧ ، والنبأ/١٨ ، والانعام ٧٣ ٠

(٤٠٣) الليت : صفحة العنق ٠ (٤٠٤) القرطبى/٧/٢٠ ٠

(٤٠٥) انظر ـ المدثر/٨ ٠ (٤٠٦) آل عمران/٢٧ ٠

من هذه النطفة الميتة ، وتخرج هذه النطفة الميتة من الحى » ، وفى رواية ثانية يقول : « يعنى المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والمؤمن عبد حى الفؤاد والكافر عبد ميت الفؤاد » ، ويقول فى رواية ثالثة رواها له القرطبى بالمعنى « يشق النواة الميتة فيخرج منها ورقا أخضر وكذلك الحبة : ويخرج من الورق الأخضر نواة ميتة وحبة » . وكلها اجتهادات عقلية صحيحة .

ومن نظراته الخاصة كذلك ما كان يراه من أن هذه الآية خاصة لشيىء معين أو لقوم بعينهم وليست عامة ، وفكرة التخصيص والتعميم ، فكرة تقوم أساسا على النظرة العقلية للنص ، ومن ذلك مثلا ما نراه عند تفسيره لقوله تعالى : « لا اكراه فى الدين »(٤٠٧) ، يقول : « أكره عليه هذا الحى من العرب لأنهم كانوا أمة أمية ليس لهم كتاب يعرفونه فلم يقبل منهم غير الاسلام ، ولا يكره عليه أهل الكتاب اذا أقروا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلى عنهم » . فقد رأى أن الاكراه لم يكن الا للعرب وذلك لأميتهم وأما أهل الكتاب فلا ، فهم أصحاب كتاب وطالما يؤدون الجزية ويتمسكون بكتابهم .

وعند تفسيره لقوله تعالى : « اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار »(٤٠٨) : يرى أن الفرار يوم الزحف مخصوص بيوم بدر وليس عاما، وذلك لأنه لم يكن لهم أن ينحازوا ، ولو انحازوا لانحازوا للمشكرين ، ولم يكن فى الأرض يومئذ مسلمون غيرهم ولا للمسلمين فئة الا النبى (ص).

وعند تفسيره لقوله تعالى : « فذلك نجزيه جهنم كذلك الظالمين »(٤٠٩)، يرى ان هذه الآية خاصة لعدو الله ابليس ، يقول قتادة : « وانما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله ابليس لما قال ما قال لعنه الله وجعله رجيما .

وهكذا نجد عند قتادة كثيرا من الآيات التى يفسرها بفكره الخاص الا أنها مقيدة باطار القرآن والروح العامة للاسلام ، اللهم الا قليلا من العقلية الخاصة كما عرضنا بعضا منها فيما سبق ، ومنها أيضا ما يراه من أن الصدقة العلنية مقبولة طالما كانت النية صادقة(٤١٠) ، وأن تعفف

---

(٤٠٧) البقرة/٢٥٦ .

(٤٠٨) الانفال/١٥ .

(٤٠٩) الانبياء/٢٩ .

(٤١٠) انظر تفسيره للاية/٢٧١ البقرة .

الغفير : ترك مسألة الناس(٤١١) ، وأن تبديل الله سيئاتهم حسنات هوطاعة الله بعد عصيانه وذكره بعد نسيانه والخير بعد الشر(٤١٢) ، وأن الأمانة هى الدين والفرائض والحدود (٤١٣) ، وأن تأويل القرآن : التأليف(٤١٤) ، وأن قوله تعالى : « فلا تكن فى مرية من لقائه(٤١٥) ، يعنى به ليلة الاسراء، ولقتادة أيضا بعض التفسيرات التى يمكن أن تعتبر كمصطلحات فكرية له، ومنها مثلا أن « الحق » هو كتاب الله القرآن(٤١٦) ،وأن « الباطل » هو ابليس(٤١٧) وأن « المثل الأعلى »(٤١٨) شهادة أن لا اله الا الله ، والباقيات الصالحات(٤١٩) : « لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله » ٠

هذه الأفكار الخاصة كلها تدور داخل اطار الاسلام وتتشبع بروح القرآن ، ما عدا القليل جدا منها، كما رأينا فى تفسيره للصور مثلا ٠

وعلى كل حال فقتادة مفسر سلفى ، ولا يمكن أن تجعل منه هذه النظرات الفكرية الخاصة مفسرا بالرأى أبدا ، فلقد كان قتادة متمسكا أشد التمسك بالسلفية فى التفسير والبعد عن الرأى ، يقول قتادة : « **ما أفتيت بشيىء من رأيى منذ عشرين سنة** »(٤٢٠) وفى رواية أخرى يقول أبو هلال : « سألت قتادة عن مسألة : فقال : لا أدرى ، فقلت : قل برأيك ، **قال : ماقلت برأيى منذ أربعين سنة** »(٤٢١) ، وسأل معمر قتادة عن الذين « قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين ٠ عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون »(٤٢٢) : أمن أهل الجنة هم أم من أهل النار ؟ فقال قتادة: « لقد كلفتنى تعبا » ٠

---

(٤١١) انظر تفسيره للاية ٢٧٣/البقرة ٠
(٤١٢) انظر تفسيره للاية/٧٠ الفرقان ٠
(٤١٣) انظر تفسيره للاية ٧٢/الاحزاب ٠
(٤١٤) انظر تفسيره للاية ١٧/ القيامة ٠
(٤١٥) السجدة/٢٣ ٠
(٤١٦) الانبياء/١٨ ٠
(٤١٧) الانبياء/١٨ ٠
(٤١٨) الروم/٢٧ ٠
(٤١٩) الكهف/٤٦ ٠
(٤٢٠) الداوودى٢/٤٤ ، الجرح والتعديل ق ٢ م ٣ ص ١٣٤ ، تذكرة الحفاظ١/١٠٩ ٠
(٤٢١) ابن سعد ح ٧ ق ٢ص١ ٠
(٤٢٢) القلم/٣١ ، ٣٢ ٠

وقصة قتادة مع المعتزلة مشهورة ، فقد اعتزل قتادة المعتزلة بل يقال انه هو الذى سماهم بهذا الأسم ، يحكى طاش كبرى زادة : يقال ان الذى سماهم بهذا قتادة بن دعامة السدوسى ... دخل مسجد البصرة فاذا بعمرو ابن عبيد ونفر معه فأمهم وهو يظن أنها حلقة الحسن البصرى ، فلما عرف أنها ليست هى ، فقال انما هؤلاء المعتزلة ، قام منهم ، فمن يومئذ سموا المعتزلة »(٤٢٣) .

فقد نأى قتادة عن هذه المزالق ، ويحكى تلميذه شيبان النحوى فيقول: « والسموات مطويات بيمينه »(٤٢٤) ، لم يفسرها قتادة ، فلم يخض قتادة فى أية مشاكل من هذا النوع ، فقد بعد بعدا شديدا من تفسير آيات للذات والصفات ، ولم نجد فى تفسيره أية اشارة قط فى هذا الموضوع ، فقد كان قتادة يتجنب المزالق ، ونراه مثلا فى تفسيره لقوله تعالى : « فناداها من تحتها »(٤٢٥) ، يقول : « أى من تحت النخلة » ، فهو اذن لم يخض فى الأمور الغيبية التى قد تورد موارد الهلاك ، وهو كان يرى أن المحكم هو الناسخ وأن المتشابه هو المنسوخ ، رأى سلفى واضح ، ويرى أن المحكم هو الذى يعمل به وأن والمتشابه لا يعمل به مع الايمان به لأنه من عند الله ، كذلك فهو يرى أن المحكم هو الحلال والحرام(٤٢٦) . هذا الرأى لقتادة فى مسألة المحكم والمتشابه هو رأى سلفى، نادى به كذلك عكرمة والضحاك وابن عباس(٤٢٧). فقتادة مفسر سلفى يقتفى أثر السلف الصالح ويقتـــدى بهم ويسير على منوالهم .

حتى وان وجدنا لقتادة رأيا فى الحروف المقطعة التى فى أول السور انها من أسماء القرآن . ما عدا « طه » التى فسرها بأنها « يا رجـــل » بالسريانية ، و « نون » التى قال « هو الدواة » فهو ايضـــا لا يخرج عن الدائرة السلفية التى تحتوى فى داخلها هذه الآراء لمفسرين سلفيين آخرين.

---

(٤٢٣) مصباح السعادة٢/١٦٢ : ١٦٣ .

(٤٢٤) الزمر/٦٧ .

(٤٢٥) مريم/٢٤ .

(٤٢٦) راجع تفسير قتادة للاية ٧ من سورة آل عمران .

(٤٢٧) الاتقان ٢/٢-٣ .

فالنظرات العقليـــة التفسيرية لقتادة ليس فيهـــا اى اعمـــال عقلى فلسفى ، وانما هو صـــدور اسلامى حنيف بسيط ، فهو مثـــلا عندما يفسر قوله تعـــالى : « هو الذى يصوركـم فى الأرحام كيف يشـــاء »(٤٢٨) ، يوضح لنـــا مشيئة الله المطلقـــة فى تصويره لعباده فيقول : « قادر والله ربنـــا أن يصور عباده فى الأرحام كيف يشاء من ذكر أو أنثى ، أو أسود أو أحمر ، تام خلقـــه وغير تام » فهو يرى أن الانســـان لا يجعل من نفسه ذكرا وأنثى ، ولا أسود اللون أو أحمره ، ولا يستطيـــع الانسان أن يخلق نفسه جميـــلا ولا دميما أو تام الخلقـــة أو غير تام ، فهـــذا الامر كله لا يرجـــع الا لله وحده ، فالله هو الأوحـــد الذى ترجع اليه كل الأمور ، هذا التأثر بالقدر تأثر اسلامى ، ليس فيه الحبكة العقلية الفلسفية المعقدة وانما هو انسياب اسلامى واضح وبسيط ، و « والله ما رضى الله لعبـاده ضلالة ولا أمر بها ولا دعا اليها ، ولكن رضى لكم طاعته وأمركم بها ونهاكم عن معصيته »(٤٢٩) ، وعندما قتل موسى الرجل القبطى ، « عرف المخرج » كما يقول قتـــادة ، فهتف موسى : « رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له »(٤٣٠) ، فقد « عرف نبى الله عليه السلام من أين المخرج ، فأراد المخرج فلم يلق ذنبه على ربه » كما يقول قتادة .

ويمكن أن نعتبر بعض هذه النظرات الفكرية الخاصة القليلة والتى تناثرت فى تفسير قتادة ، بأنها سقطت له خلال احتكاكه بأستاذه الحسن البصرى ، فهو تأثر به لا شك ، وان كان تأثرا ضئيلا .

ولقد كان قتـــادة دائما الرجل المسلم المؤمن الثقى ، وها هو يهاجم المنجمين المحتالين الذين يتخرصون ويكذبون ،ويستعملون رأيهم وهواهم رياء وكذبا ، يقول : « انما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينـــة للسماء ، وجعلها يهتدى بها ، وجعلها رجوما » وهو هنا يلتزم بمعلومات ومعانى القرآن الكريم ، قال تعالى فى كتابه الكريم : انا زينا السماء الدنيا بزينـــة الكواكب »(٤٣١) » ، وقال عز وجل : « وعلامات وبالنجـــم هم يهتدون »(٤٣٢) ، وقال تبارك وتعالى : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا

---

(٤٢٨) آل عمران/٦ .

(٤٢٩) انظر تفسير قتادة للآية ٧ من سورة الزمر .

(٤٣٠) القصص/١٦ .

(٤٣١) الصافات/٦ .

(٤٣٢) النحل/١٦ .

بها فى ظلمات البر والبحر»(٤٣٣) ، وقال تعالى « الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين »(٤٣٤) ، وقال عز وجل : « الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب »(٤٣٥) ٠

ويمضى قتادة فيقول : « فمن تعاطى فيها غير ذلك ، فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به ، وان ناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة : ومن أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ٠ ولعمرى ما من نجم الا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والدميم وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشىء من الغيب ، وقضى الله أنه لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون »(٤٣٦) ٠

قال ابن أبى حاتم : « هو كلام جليل متين واضح »(٤٣٧) ٠

وكذلك هاجم قتادة الخوارج الحرورية وهاجم الشيعة السبأية هجوما عنيفا ، لشطحاتهم ومخاريقهم وفسادهم فى الأرض ، فقال قتادة وهو يفسر قوله تعالى : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة »(٤٣٨) : « ان لم يكونوا الحرورية والسبأية فلا أدرى من هم ، ولعمرى ، لقد كان فى أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع الرسول (ص) بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار خبر لمن استخبر وعبرة لمن استعبر، لمن كان يعقل أو يبصر ٠ ان الخوارج قد خرجوا وأصحاب رسول الله (ص) يومئذ كثير بالمدينة والشام والعراق ، وأزواجه يومئذ أحياء ، والله ان خرج منهم ذكر ولا أنثى حروريا قط ، ولا رضوا الذى هم عليه ولا مالاوهم فيه ، بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله (ص) اياهم ونعته الذى نعتهم به ، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ، ويعادونهم بألسنتهم ، وتشتد والله عليهم

---

(٤٣٣) الانعام/٩٧ ٠

(٤٣٤) الحجر/١٨ ٠

(٤٣٥) الصافات/١٠ ٠

(٤٣٦) انظر تفسير قتادة للآية ٦٥ النمل « قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله »٠

(٤٣٧) تفسير ابن كثير ٢/٦/٦ ٠

(٤٣٨) آل عمران /٧ ٠

أيديهم اذا لقوهم ولعمرى ، لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع ، ولكنه كان ضلالا فتفرق ، وكذلك الأمر اذا كان من عند غير الله ، وجدت فيه اختلافا كثيرا ، فقد ألاصوا(٤٣٩) هذا الأمر منذ زمان طويل ، فهل أفلحوا فيه يوما أو أنجحوا ؟ يا سبحان الله ! كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم ، لو كانوا على هدى قد أظهره الله وأفلجه ونصره ، ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه ، فهم كما رأيتهم كلما خرج لهم قرن أدحض الله حجتهم وأكذب أحدوثتهم وأهراق دماءهم . وان كتموا كان قرحا فى قلوبهم وعمى عليهم ، وان أظهروه أهراق الله دماءهم . ذلكم والله دين سوء فاجتنبوه . والله ان اليهودية لبدعة ، وان النصرانية لبدعة وان الحرورية لبدعة ، وان السبأية لبدعة ، ما نزل بهن كتاب ، ولا سنهن نبى » .

لقد « طلب القوم التأويل فأخطأوا التأويل ، وأصابوا الفتنة فاتبعوا ما تشابه منه ، فهلكوا من ذلك » .

***

خلاصة عامة لمنهج قتادة فى التفسير وخصائصه :

وهكذا يتكشف لنا أن تفسير قتادة هو تفسير سلفى بحت ، ينسج على المنوال الاسلامى ، فيستعين بالقرآن ليفسر به القرآن ، ويستعين بأحاديث الرسول الشريفة ، كما يستعين كذلك بأقوال الصحابة وكبار التابعين ، وهو فى استعانته بالقرآن الكريم ، يقرن الآيات التى تتحدث عن موضوع واحد ، حتى يوفر لتفسيره الوحدة العضوية المطلوبة ويربط بين هذه الآيات المتفقة برباط قوى من التوضيح والشرح ، ويأتى بالمعانى التى تبدو وكأنها تكمل كل منها الأخرى وتتمها ، كما يحصر المعانى المتفقة فى موضع واحد ، وكذلك ينبه على أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف ، ويفطن للآيات المتفقة فى الأسلوب والنظم .

أما عندما يستعين بالحديث فهو أحيانا يأتى به كاملا وأحيانا يأتى به مختصرا ، وأحيانا يأتى بمعناه ولا يلتزم بلفظه ، وأحيانا يأتى بجزء منه هو ما يحتاجه فى التفسير ، كما وجدنا عنده كذلك بعض الأحاديث القدسية .

---

(٣٩) ألاصوا : خادعوا .

أما من ناحية السند . فهو قليلا ما يذكر السند ، وقد تحدثنا عن هذه المسألة فى ترجمته ووضحناها ٠

ولقد رأينا قتادة يأتى فى تفسيره بحشد ضخم من أقوال الصحابةوكبار التابعين ليستعين بها فى التفسير والتوضح ، ورأينا كيف أن كثيرا من مروياته هذه فيها المرسل والمنقطع والمعضل الا أنه كان ثقة واحتج به أرباب الصحاح ٠ كذلك عرفنا أن قتادة كان يأتى بهذه المرويات المأثورة أحيانا لتفسير الآية وأحيانا لمجرد الاستشهاد والتقوية ، وأحيانا كمادة للطرافة ٠

ودرسنا اختيار قتادة فى القراءات وكيف كان أحيانا يتابع الجمهور وأحيانا يقول بقراءة خاصة أو شاذة ، ورأينا أن هذه القراءات التى اختارها قتادة اما أن تكون للظاهر من معنى الآية ، أو لأمر لغوى،أو متابعة للمدرسة البصريه ، او على أساس مراعاة المعنى فى المقام الأول ، او اختلاف شكلى مع الاتفاق فى المعنى مع الجمهور ، واحيانا تبدو مخرجة لوجه بعيد ، كما استعان قتادة قتادة أيضا بقراءات أخرى لغيره ، وخاصة أبى بن كعب وابن مسعود ٠

وكانت نظرات قتادة الفقهية تتبع المنهج الاسلامى أيضا من الأخـــذ بالقرآن فالحديث فقول الصحابى،ورأينا أن نظراتهالفقهية مجردنظراتوليست منهجا أو مدرسة ، وأنها كذلك نظرات تأخذ بالظاهر كما تستوحى الآية أو الحديث الشريف ، كما وجدنا عنده شيئا من التدقيق العقلى ، وان كان يقف بنظراته الفقهية عند حد الزمن الذى عاشه وقليلا جدا ما وسع من هذه الدائرة ٠

وكان قتادة أيضا يستعين فى تفسيره بتوضيح الناسخ والمنسوخ ، وقد ناقشنا مجموعة من الدعاوى التى رفعها بالنسخ وخرجنا منها بأنه كان مغاليا فيها ، كسمة من سمات عصره فى هذا الموضوع ٠

وفى منهجه التاريخى فى التفسير كان قتادة يهتم بسبب النزول وكان يأتى برأى واحد فى ذلك ولا يعقب عليه أو يدرسه اللهـم الا ما كان من التنبيه على مكية السور أو الآيات ومدنيتها ٠

وكان كذلك يتهم بأحداث السيرة وعادات العرب وأحوالهم وبالتاريخ القديم والديانات والنحل القديمة ، وهو فى عرضه لذلك كله يكشف عن

ثقافة واسعة والمام كبير ، ولكننا أخذنا عليـــه انه لا يهتم الا بمجرد الذكر والسرد دونما تعليق أو تعقيب ٠

ولم يسلم تفسير قتادة من الاسرائيليات مثله فى ذلك مثـــل سائر التفاسير القديمة ، وكيف يهتـم بالتحديدات الاسمية للأعـــلام والأماكن الأعـــداد ٠

واهتم قتادة بالمواعظ والنصائح فى تفسيره ، وكان يسوقها فى ثوب جميل ، ويستعين بالقصص وشرح الأمثال والتنبيه على الآداب الاسلامية ويقرن الوعظ بشئون الحياة ٠

أما التفسير اللفظى عنده فقد ضرب فيه بسهم وافر ٠

كما لا حظنا شيئا من النظرات العقلية الخاصة عند قتادة الا أنهـا تدور فى نفس الدائرة السلفية ، ولا تخرج عنها الا قليلا فقد كان قتـــادة معتزا بالأسلوب السلفى ، وهاجم الخوارج والشيعة واعتزل المعتزلة وتجنب الخوض فى المتشابه وما الى ذلك ٠

كان مفهوم قتادة هو منهج الغالبية العظمى من مفسرى عصره ، من التزام الروح القرآنى والتحرك داخل اطار الاسلام ، وعـدم الخوض فى المزالق ، وبذا يعتبر تفسير قتادة تفسيرا سلفيا واضحـــا ، رغم وجود البصمة الذاتية له والتى لا بد من وجودها ، لتدل على أصالته وعلمـــه وتقواه ، رحمه الله وجعل الجنة مثواه ٠

ولله الحمـــد والمنة

عبد الله أبو السعود بدر

ثبت المصادر

١ ـ الاتقان فى علوم القرآن ـ للسيوطى (٩١١ هـ) ـ طبعة الحلبى ـ الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١ م ٠

٢ ـ اختصار علوم الحديث ـ لابن كثير (٧٧٤ هـ) ـ مطبعة محمد على صبيح ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م ٠

٣ ـ أسباب النزول ـ للواحدى ـ مصر ١٣٠٥ هـ ٠

٤ ـ الاشتقاق ـ لأبى دريد (٣٢١ هـ) ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ مطبعة الخانجى ١٩٥٨ ٠

٥ ـ الأعلام ـ لخير الدين الزركلى (١٩٧٨ م) ـ المطبعة العربية بمصر ١٣٤٦ هـ/١٩٢٧ م ٠

٦ ـ ألف باء ـ للبلوى ، يوسف بن محمد ـ بولاق ١٢٨٧ هـ ٠

٧ ـ انباه الرواة على أنباه النحاة ـ للقفطى ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م ٠

٨ ـ الانساب ـ للسمعانى (٥٦٢ هـ) ـ نشرة مرجليوث تصويرا عن مخطوط ٠

٩ ـ البداية والنهاية ـ لابن كثير (٧٧٤ هـ) ـ مطبعة السعادة بمصر ٠

١٠ ـ تاريخ ابن الوردى (٧٤٩ هـ) ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م ٠

١١ ـ تاريخ التراث العربى ـ لفؤاد سزجين ـ ترجمة د٠ فهمى أبو الفضل ، وراجعه د٠ محمود فهمى حجازى ـ طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٧١ م ٠

١٢ ـ التاريخ الكبير ـ للبخارى ـ طبع حيدر آباد الدكن ١٣٦٠ هـ ٠

١٣ ـ تاريخ واسط ـ لأسلم بن شهر الرزاز الواسطى المعروف ببحشل (٢٩٢ هـ) تحقيق كوركيس عواد ـ مطبعة المعارف ببغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ٠

١٤ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ـ لابن حجر العسقلانى (٨٥٢ هـ) تحقيق محمد على النجار ـ وعلى محمد البجاوى ـ طبعة مصر ١٩٦٧ م ٠

١٥ ـ تحفة ذوى الارب ـ لابن خطيب الدهشة ـ ليدن ١٩٠٥ م ٠

١٦ ـ تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ـ للسيوطى (٩١١ هـ) ـ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ـ مطبعة السعادة بمصر ـ الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ/١٩٦٦ م ٠

١٧ - تذكرة الحفاظ - للذهبى (٧٤٨ هـ) - طبعة حيدر آباد الدكن ١٨٩٧ م ٠
١٨ - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٧٧٤ هـ) - تحقيق عبد العزيز غنيم ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمد ابراهيم البنا - مطبعة دار الشعب بمصر ٠
١٩ - تهذيب الاسماء واللغات - لأبى زكريا محيى الدين بن شرف النووى (٦٧٦ هـ) - طبعة بيروت - لبنان ٠
٢٠ - تهذيب التهذيب - لابن حجر العسقلانى (٨٥٢ هـ) - الطبعة الاولى مطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد الركن - الهند ١٣٢٦ هـ
٢١ - جامع البيان عن تأويل القرآن - لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى (٣١٠ هـ) - تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر ٠
٢٢ - الجامع الصحيح - سنن الترمذى - لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (٢٩٧ هـ) - تحقيق محمد ابراهيم عطوة عوض - طبعة الحلبى - الطبعة الاولى ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م ٠
٢٣ - الجامع لأحكام القرآن - لأبى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى (٦٧١ هـ) -طبعة دار القلم ١٨٨٦ هـ/١٩٦٦ م - الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية ٠
٢٤ - الجرح والتعديل - لابن أبى حاتم (٣٢٧ هـ) الطبعة الاولى - حيدر آباد الدكن ١٣٦١ هـ ٠
٢٥ - جمهرة أنساب العرب - لابن حزم الاندلسى (٤٥٦ هـ) - تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف بمصر ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م ٠
٢٦ - خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال -لصفى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجى - المطبعة الخيرية بمصر - الطبعة الاولى ١٣٢٢هـ
٢٧ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور - للسيوطى - المطبعة الاسلامية بطهران ١٣٧٧ هـ ٠
٢٨ - ديوان امرىء القيس - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ١٩٦٤ م ٠
٢٩ - السيرة النبوية - لابن هشام - تحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم الابيارى ،وعبد الحفيظ شلبى - طبعة مصطفى الحلبى - الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م ٠
٣٠ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلى (١٠٨٩ هـ) - المكتب التجارى للطباعة والنشر ببيروت ٠

٣١ - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف - لأبى أحمد الحسين بن عبد الله بن سعيد العسكرى (٢٨ هـ) - تحقيق عبد العزيز أحمد. طبعة الحلبى - الطبعة الاولى ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م ٠
٣٢ - صحيح مسلم - طبعة دار الشعب ٠
٣٣ - طبقات الحفاظ - للسيوطى (٩١١ هـ) - تحقيق على محمد عمر - مكتبة وهبة - الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م ٠
٣٤ - طبقات فحول الشعراء - لمحمد بن سلام الجمحى (٢٣١ هـ) - تحقيق محمود محمد شاكر - مطبعة المدنى بالقاهرة ٠
٣٥ - الطبقات الكبرى - لمحمد بن سعد - دار التحرير - مصر ٠
٣٦ - طبقات المدلسين - لابن حجر العسقلانى (٨٥٢ هـ) - المطبعة المحمودية ٠
٣٧ - طبقات المفسرين - للداوودى (٩٤٥ هـ) تحقيق على محمد عمر - الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية ٠
٣٨ - طبقات المفسرين - للسيوطى (٩١١ هـ) - تحقيق أ ٠ ميرسنج - طبعة ليدن ١٨٣٩ م ، صورته طهران ١٩٦٠ م ٠
٣٩ - العبر فى خبر من غبر - للذهبى (٧٤٨ هـ) - تحقيق د٠ صلاح الدين المنجد - سلسلة التراث العربى بالكويت ١٩٦٠ م ٠
٤٠ - عجالة المبتدىء وفضالة المنتهى فى النسبا - لأبى بكر محمد بن العثمان الحازمى الهمدانى (٥٨٤ هـ) تحقيق عبد الله كنون - المطبعة الأميرية بمصر ١٣٨٤ هـ /١٩٦٥ م ٠
٤٠ - عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب - لابى بكر محمد بن العثمان الحازمى الهمدانى (٥٨٤ هـ) تحقيق عبد الله كنون - المطبعة الاميرية بمصر ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م ٠
٤١ - العقد الفريد - لابن عبد ربه (٣٢٧ هـ) - تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وابراهيم الابيارى - طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م ٠
٤٢ - العلل - لعلى بن عبد الله بن جعفر السعدى المدينى - تحقيق محمد مصطفى الاعظمى - المكتب الاسلامى بدمشق ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م٠
٤٣ - غاية النهاية فى طبقات القراء - لشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد بن الجزرى (٨٣٣ هـ) - نشرة ج ٠ برجستراسر - طبعة الخانجى بمصر ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م ٠
٤٤ - الفتاوى الكبرى لابن تيمية - أبى العباس تقى الدين أحمد بن

عبد الحليم (٦٨٢ هـ) - تحقيق حسنين محمد مخلوف - طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م ٠
٤٥ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - وضعه عزت حسن - حسن - دمشق ١٣٨١ هـ/١٩٦٢ م مطبوعات المجمع العلمى العربى ٠
٤٦ - الكامل فى التاريخ - لابن الاثير - المطبعة الازهرية بمصر - الطبعة الاولى ١٣٠١ هـ ٠
٤٧ - كتاب الطبقات - لابى عمرو خليفة بن خياط بن شباب العصفرى (٢٤٠ هـ) - تحقيق اكرام ضياء العمرى - الطبعة الاولى بغداد ١٣٨٧هـ /١٩٦٧ م ٠
٤٨ - الكنى والاسماء - للدولابى (٣١٠ هـ) - الطبعة لاولى - حيدر آباد الدكن ١٣٢٢ هـ ٠
٤٩ - اللباب فى تهذيب الانساب - لعز الدين بن الأثير (٦٣٠ هـ) - مكتبة حسام الدين القدسى - القاهرة ١٣٨٦ هـ ٠
٥٠ - لسان العرب - لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى (٧١١ هـ) ٠
٥١ - مجاز القرآن - لأبى عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠ هـ) - تحقيق د٠ محمد فؤاد سزكين - الطبقة الاولى - الخانجى بمصر ١٩٥٤ م٠
٥٢ - المجتبى - سنن النسائى - المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٢ هـ
٥٣ - مختار الصحاح - للجوهرى ٠
٥٤ - مرآة الجنان - لليافعى اليمنى المكى (٧٦٨ هـ) - منشورات الاعلمى لمطبوعات - بيروت - لبنان ٠
٥٤ - المراسيل فى الحديث - لابن أبى حاتم (٣٢٧ هـ) - طبعة بغداد ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م ٠
٥٥ - المزهر فى علوم اللغة - للسيوطى - تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل - طبعة عيسى الحلبى ٠
٥٦ - مشكاة المصابيح - لولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمرى التبريزى - تحقيق محمد ناصر الدين الالبانى - دمشق ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢ م ٠
٥٧ - معجم الادباء - لياقوت الحموى - طبعة دار المأمون ١٩٣٦ م ٠
٥٨ - معرفة علوم الحديث - للامام الحاكم أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابورى (٤٠٥ هـ) - تحقيق د ٠السيد معظم حسين - منشورات المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت ٠

٥٩ - المغنى فى الضعفاء - للذهبى (٧٤٨ هـ) تحقيق د٠ نور الدين عتر - دار المعارف بحلب - سوريا - الطبعة الاولى ١٣٩١هـ/١٩٧١ م ٠
٦٠ - مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعانى (١٢٦ - ٢١١ هـ) - تحقيق حبيب الرحمن الاعظمى - نشر المجلس العلمى (سملك ، سورت- الهند) الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ٠
٦١ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة - لأحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة (٩٦٨ هـ) تقحيق كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النور - مطبعة الاستقلال الكبرى بمصر ١٩٦٨ م ٠
٦٢ - المفضليات - للمفضل الضبى - تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون - الطبعة الثالثة - دار التعاون بمصر ١٩٦٤ م ٠
٦٣ - الملل والنحل - للشهرستانى (٥٤٨هـ) - تحقيق محمد سيد كيلانى - طبعة مصطفى الحلبى ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م ٠
٦٤ - الموشح - للمرزبانى (٣٨٤ هـ) - المطبعة السلفية بالقاهرة١٣٤٣هـ٠
٦٥ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال - للذهبى (٧٤٨ هـ) - تحقيق على محمد البجاوى - طبعة الحلبى ١٣٢٥ هـ ٠
٦٦ - الناسخ والمنسوخ - لأبى جعفر النحاس - مصر ١٣٢٣ هـ ٠
٦٧ - النجوم الزاهرة - لابن تغرى بردى (٨٧٤ هـ) - نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية - صورتها وزارة الثقافة والارشاد بمصر ٠
٦٨ - نكت الهميان فى نكت العميان - لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى - نشرة أحمد زكى - المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩/١٩١١ م ٠
٦٩ - هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - لاسماعيل باشا البغدادى - طبعة استانبول ١٩٥١ م ٠
٧٠ - واضح البرهان - لأبى الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسن الادريسى - مكتبة القاهرة ١٩٧٢ م ٠
٧١ - وفيات الأعيان - لابن خلكان - تحقيق محمد محيدالدين عبد الحميد - مطبعة النهضة المصرية ١٩٤٨ م ٠
٧٢ - مجلة الجمعية الالمانية للدراسات الشرقية :
H. Horst, ZDMG 103/1953/301

دار الهنا للطباعة ت : ٩٧١٣٢٧